روائع المسرح العالمي

٥

پينيلوپي

تأليف : سومرست موم

ترجمة وتقديم : مفيد الشوباشي

مراجعة : فؤاد اندراوس

الجمهورية العربية المتحدة

وزارة الثقافة والإرشاد القومي

الإدارة العامة للثقافة

روائع المسرح العالمي

٥

پينيلوپي

تأليف

سومرست موم

ترجمة
مفيد الشوباشي

مراجعة
فؤاد اندراوس

الجمهورية العربية المتحدة

وزارة الثقافة والإرشاد القومي

الإدارة العامة للثقافة

پينيلوپي

ملهاة ذات ثلاثة فصول

بقلم

سمرست موم

هذه ترجمة مسرحية

PENELOPE

by

Somerset Maugham

مقدّمة

كتب « سومرست موم » أكثر من خمس عشرة مسرحية جميعها من نوع الملهاة ، أو على وجه التحديد ، الملهاة السلوكية التى تبحث فى سلوك الأفراد داخل نطاق بيئتهم . وبرغم أن هذه المسرحيات بلغت مستوى رفيعاً من الإتقان الفنى ، وتقدمت بالأدب النقدى شوطاً جديراً بالعصر الراهن ، إلا أنها لم تحقق الشهرة التى تستحقها . وليس معنى هذا أنها ظلت مغمورة دون أن تحقق أى قسط من الشهرة ، فهى تتمتع بالتقدير الكبير ، ولكن دائرة هذا التقدير لم تتسع وتشمل الجماهير الحاشدة ، بل اقتصرت على ذوى الذوق الأدبى المرهف السامى الذى يدرك ويقدر ما دقّ حجمه وغلا ثمنه ، ولا يحتاج إلى دق الطبول ، أو إضرام النيران ليسمع ويحس . وهناك عوامل أدت هى الأخرى إلى الحد من شهرة مسرحيات « موم » ، ولعل أهمها ما يأتى :

أن المذاهب الجديدة فى الأدب زحفت على المسرح وصبغت الأعمال المسرحية بألوانها ، ووجهتها إلى مختلف اتجاهاتها . فظهرت المسرحيات المذهبية التى تأثر بعضها

بالمذهب الطبيعى ، وبعضها الآخر بالمذهب التعبيرى ، أو بالمذهب السريالى أو الوجودى أو المستقبلى أو غير ذلك من المذاهب المستحدثة التى ملكت ألباب طلاب الجديد من رواد المسرح ، وهواة الأدب الذين أمرضت الحروب نفوسهم ، وأخرجتهم عن حالتهم الطبيعية . فلم يعودوا يتذوقون الأدب الأصيل الذى يعكس لهم الواقع فى صدق وبساطة ، ويستهدف الكشف عن عيوبه وتحليلها .

ومن تلك العوامل أن مسرحيات « موم » ، أو ملاهيه السلوكية ، تقتصر على تصوير حياة الأسر الإنجليزية المتوسطة المستوى ، فمن الطبيعى والحال هذه أن تنال من اهتمام الإنجليز بها قدراً أكبر من اهتمام غيرهم . وأن يكونوا أقدر على فهمها والتأثر بها . ولكن هذا لا يمنع بالطبع أن يقبل عليها هواة الأدب الرفيع أيا كان موضوعها ، لا سيما وقد ارتفع أغلب هذه المسرحيات عن المستوى المحلى إلى المستوى العالمى .

ومن تلك العوامل أيضاً أن«موم» كتب قصصاً بلغ أسلوبها الفنى من الروعة والأصالة ما بهر الناس فى جميع الأصقاع ، وخلب عقولهم ، وملك مشاعرهم . . . فلا عجب أن تشغل هذه القصص جموع الناس عن مسرحيات هذا الكاتب الخلاب ، لا سيما وهى تحاول تحليل النفس البشرية على الإطلاق ، وتفسير اتجاهاتها السلوكية ، ولا تقصر اهتمامها على تصوير الأسر الإنجليزية فى قالب الملهاة الخفيفة الظلال التى

أصبح حتى النظارة المقبلون على مسرحيات الملاهى ، يؤثرون ملهاة الفكاهة Farce على سائر أنواعها .

ولا بد لنا قبل الإدلاء بكلمتنا عن الملهاة التى نقدم لها أن نلقى بعض الضوء على شخصية «موم» وأعماله الأدبية الأخرى لنصبح أقدر على فهم مضمونها واتجاهاتها .

* * *

أيستطيع المرء أن يتحرر من تأثير بيئته ؟ إن الواقع يدحض من يرى استحالة ذلك . فكم من امرئ خرج على تقاليد أهله ، وتطبع بغير طباعهم ، وسلك غير سلوكهم ، ولكن المرء لا يستطيع أن يتحرر من أثر مجتمعه ، لأن المجتمع يتضمن مختلف اتجاهات العصر الفكرية والسلوكية ، ولا مفر للمرء من اتباع أحدها ، ومن التأثر بظروف حياته وملابساتها كذلك .

وقد نشأ «وليم سومرست موم» أول ما نشأ فى باريس بين مجتمع غريب عن قومه ، فتأثر به من دونهم ، ولا بست حياته ظروف لا تتفق لكثيرين من الناس ، ثم تنقل بين إنجلترا وألمانيا وجنوب فرنسا ، ولم يلبث أن عاد إلى باريس حيث أقام عشر سنوات أخرى ، ثم طوف فى مختلف بلاد العالم ، وعاش ردحاً من الزمن فى جزر الهند الشرقية حيث خبر حالها وطباع أهلها ، وعرف لغات كثيرة ، واتسع اطلاعه ، وتنوعت معارفه ، ورحبت آفاق خبرته ، فهل من

عجب أن يحدث هذا أثره العميق فى موهبته الفنية ، وقدرته الكتابية ، وأن ينعكس على مؤلفاته ويسمو بمستواها ؟

لقد شهدت باريس مولد هذا المؤلف القصصى والمسرحى الفذ فى يوم ٢٥ من يناير سنه ١٨٧٤ . ولم يكن «موم» الولد البكر ، ولكنه كان الولد السادس لمستشار السفارة البريطانية فى باريس ، وقضى طفولته فى بيئة فرنسية بحت ، فتحدث بلغتها دون لغة قومه ، ولكن الأقدار عركته وعركها وهو غض الإهاب ، فماتت أمه بمرض السل وهو بعد فى الثامنة ، ثم أصبح يتيم الوالدين وهو لم يتعد العاشرة .

وغادر باريس ، مهد طفولته ، ومرتع لهوه البرىء ، وعاد إلى انجلترا ليعيش فى بلده الغريب عنه ، ويقيم بين أناس لا تربطهم به صلة معرفة وود ، وإن ربطتهم به صلة قرابة ودم .

تكفل به عمه ، وكان قس بلدة « ويتستابل » ، فعانى الطفل شظف العيش فى هذه البيئة المتقشفة ، ولعق مرارة الوحدة ، وبكى باريس وأيامه الحلوة بها . وكثرت هواجسه خلال خلوته الطويلة بنفسه ، وأكثر ما أثار تلك الهواجس مرض الصدر الذى كان يتهدده ، وعاهة ساقه العرجاء ، وقلة إلمامه باللغة الإنجليزية مما أثار سخرية الصبية منه .

وبعد أن طالت معاناته لتلك الحال ثلاث سنوات بطيئة مريرة ، رحل عن بلدة عمه إلى « كانتربرى » لتحصيل العلم فى

« كينجز كولدج » وعرف منذ ذلك الحين حرفته المستقبلة ، عرف أنه سيحترف الكتابة . وبعد أن أتم مرحلة التعليم الثانوى سافر إلى « هايدلبرج » بألمانيا حيث التحق بجامعتها ، وواظب على محاضراتها حقبة من الزمن ، ولكنه لم يتخرج فيها ، وإن كان قد حصّل هناك وفرة من المعارف ، وفاز بالكثير من التجارب ، وازدادت ثقافته غنى وتنوعاً .

وبرغم أن عمه كان رجل دين فقد أراد هذا العم أن يوفر لابن أخيه نعيم الدنيا . وظل يلحّ عليه أن يلتحق بكلية عملية ليضمن حرفة توفر له الربح الجزيل ، وزيّن له الالتحاق بكلية الطب ، وما زال به حتى أقنعه برجاحة هذا الرأى . ودرس « موم » الشاب الطب ، وتخرج فى كليته ، ولكنه لم يتخذ له عيادة قط ، ولم يمارس التطبيب عقب تخرجه إلا إذا استثنينا وقتا غير طويل قضاه طبيب امتياز فى مستشفى حى «لامبث» ، وهو أفقر أحياء لندن ... لقد حسب أن دراسة الطب قد تنسيه الأدب ، وأن الطبيب فيه سيخلف الأديب ، ولكن الأدب عاد فغلب على الطب ، وصمد الأديب للطبيب فلم يخل له مكانه . وهكذا وضح أن موهبة «موم» كانت أقوى من عقله ، وهوايته أغلب من حب الطمأنينة وراحة البال .

وعاش فى إنجلترا بين ذكريات طفولته ، فازداد ضيقاً مما يحيط به فى حاضره ، وساءت حالته النفسية فزادت حالته الجثمانية سوءاً ، وتحرك داء صدره وتهدده بخطر محدق .

ونصحه الأطباء أن يستشفى على شاطئ البحر المتوسط فى جنوب فرنسا حيث الدفء وجمال الطبيعة . وسافر إلى هناك ، وقضى الصيف على رمال الشاطئ مستمتعاً بالبحر الذى كان يتبرج له كل آن فى حلّة جديدة الألوان ، وبالنسيم الجاف النقى الممتع . ولكن نفسه كانت تنازعه إلى باريس . وعند ما عاد المصطافون إلى قاعدة فرنسا وعروسها ، برّح به الحنين ، فلم يلبث أن لحق بهم إلى هناك ، وشرع على الفور فى تحقيق ما كانت نفسه تهفو إليه وتصبو . . . مارس الرسم . . ولكنه لم يحقق فيه النجاح المأمول . فشرع فى تأليف القصص والمسرحيات ، وظل يكدح فى هذا المضمار عشر سنوات مستلهما مواطن جمال باريس ، وومضات تألّقها الفكرى والروحى آنذاك .

ولكن الفنان الأصيل لا يستطيع أن يظل حبيساً فى مكان واحد ولو كان ذلك المكان جنة الخلد . وتاق «موم» إلى الانطلاق وارتياد مختلف أقطار العالم ، والاستمتاع بمشاهدها ، والتزوّد بمعارفها . ولم يكن ممتلئ الوفاض إلى حد يستطيع معه تحقيق تلك الأمنية ، فتحايل عليها بأن التحق بإحدى البواخر طبيباً يزاول التطبيب مزاولة شكلية . وما كاد يستمتع برحلات هادئه إلى بلاد غريبة جميلة يرفرف عليها السلام ، وتغمرها الطمأنينة ، حتى أشعل الحرب العاتية شياطينها تلهفاً على الكسب الحرام واغتصاب الحقوق ، وقضت ظروف

الحرب أن يعين الشاعر الكاتب الأديب عام ١٩١٤ ضابطاً بالمخابرات الحربية البريطانية !

وإذا كانت الحرب تسقم الناس بأهوالها وفظائعها حتى ولو لم يعرفوا تلك الأهوال والفظائع إلا بالسماع ، فكيف تكون حال أديبنا منها وقد غرق فى معمعانها إلى ذقنه ؟ إنها لم لم تستثر كوامن إشفاقه وشجنه فحسب ، ولكنها أصابت ضميره بأزمة لم يشف منها إلى اليوم . . . وهو إذ أدان مشعلى نيرانها ، ودمغهم بالقسوة والوحشية ، ورآهم مجبولين على الشر والإجرام ، لم يقصر حكمه عليهم ، ولكنه سحبه على الناس أجمعين ، ودخل فى روعه أن البشر جبلوا على الشر لا فرق فى ذلك بين المجرم العريق ، ورجل المجتمع المحسن الكريم فى مظهره دون مخبره . . .

وقد زار روسيا خلال تلك الحرب العالمية الأولى ، ثم رحل إلى الشرق الأقصى وسلخ هناك حقبة من الزمن . ولم تقع عينه هناك على مناظر ساحرة غير مألوفة له فحسب ، ولكنه خبر كذلك عادات وتقاليد غير معروفة له أيضاً ، بل غريبة فى نظره كل الغرابة ، فاكتسب بذلك معارف جديدة ضمها إلى ذخر معارفه السابقة ليغترف منها كلما دعت حاجة قصصه إلى ذلك .

مثل هذه الحياة المنوعة ، المحتشدة الأحداث ، الغنية التجارب ، تفتق حتى الذهن السقيم ، وتُوقظ الوعى البليد ،

وتطلق الضيّق الأفق من الحدود التى حشر فيها ، فما البال بالأديب الألمعى الواعى البصير ؟ . . لقد أفاد « موم » من كل ما أبصر واختبر أقصى فائدة تستخلص ، وظهر ذلك على أوضح وجه فيما كتب .

اقتبس من المؤلفين الفرنسيين ذوقهم الفنى ، ولباقتهم فى التعبير ، وبلاغتهم فى التبيين ، وابتكارهم للمعنى الأصيل . وأخذ عن الإنجليز واقعيتهم الموضوعية ، وميلهم إلى السخرية والتهكم ، وبراعتهم فى الحوار ، وبساطتهم فى الأداء ، مع الإيجاز غير المخل بالمعنى ، وتعلم من الألمان تعمق الموضوع ، ودقة الملاحظة ، ورجاحة العقل ، والتركيز والتغلغل إلى التفاصيل الضرورية لإيضاح المعنى وإكماله . . . وتلقّن عن الشرق الحكم الموروثة ، والروحانيات النقية المترفعة عن الحضيض الذى انحدر إليه بعض سادة الغرب المتكالبون على الماديات .

وأين يظهر ذلك كله إذا لم يظهر فى أعماله الأدبية ، وهى ترجمة لخوالج نفسه ، وخواطر ذهنه ؟ ؟ لقد انعكست فى تلك الأعمال أناقة باريس ، وبراعة الإنجليز ، وتعمق الألمان ، وسحر الشرق الغامض . وإذا كانت ظروف حياته قد أمدّته بأسباب النجاح فى مهنته فإنه لم يتوان عن الإفادة من تلك الأسباب قدر طاقته . . . بيد أن تلك الإفادة كادت تقتصر على شكل أعماله الأدبية دون مضمونها ، ولا غرو فهو يرى

قيمة الأدب تنحصر فى الشكل ، أما المضمون فمهمته خدمة الشكل ! . . .

إن قلم «موم» أشبه بريشة الرسام ، فكتابته تصوير دقيق واضح القسمات ، أخّاذ المشاهد ، ليس فيه حشو أو اختصار ، ولا تنقصه الأصالة ، أو تشوبه الصنعة المفتعلة . أما الموضوع الذى يختاره فيلائم موهبته التصويرية ، وأما معانيه فتروق وتشوق . . . ولكن ، ما مضمون كتاباته ؟ وعلى أى نحو يصور لنا البشرية ؟ . . . ما فحوى رسالته فى الحياة ؟ . . . نحن لن نتولى عنه شرح هذا ، ولكننا سندع الأمر له هو نفسه ، وذلك بتلخيص بعض أعماله الرئيسية ، وإبراز اتجاهاتها ومقاصدها . والقارئ الذى سيمحّص أعمال «موم» وهو واضع نصب عينيه حالته النفسية ، أو تشاؤمه المتولد عن ظروفه القاسية ، سيكون أقدر على فهم تلك المقاصد والاتجاهات . .

وأول ما لفت الناطقين بالإنجليزية إلى «موم» أسلوبه السهل الممتنع . ولا يقتصر مقصودنا من الأسلوب على صياغة العبارة فحسب ، ولكن صياغة القصة بأكملها . . . إنه يعرف كيف يستولى على لب القارئ ، ويبلغ أغوار قلبه ، وذلك ببراعته فى تصميم قصته على نحو فنى رائع . . .

وقد قيل عن أسلوبه البيانى إنه يبلغ من البساطة حداً يجعله أشبه بالحديث العادى . ولكن هذا الحديث العادى أشبه بنظم اللؤلؤ فى صياغته .

وقيل عن أسلوبه القصصى إن مؤلف القصة يتوارى فيه ويترك الشخوص والأحداث تتحدث عن نفسها دون أن يعكر صفوها معكّر . . .

ولا يظن القارئ أن المقصود من ذلك أن يقف المؤلف من موضوع قصته موقفاً سلبياً . لا ، فمن واجب المؤلف أن يكون له رأى واضح فيما يكتب ، بيد أنه لا ينطق به ، وإنما يوجه الشخوص والأحداث ويدعها تتولى عنه ذلك . . . إن حيدة المؤلف التى يتحدث عنها بعض النقاد ، وهم وخرافة ، وليس أدل على ذلك من أن « موم » ، وهو المشهود له بتلك الحيدة ، بل وهو من أنشط المشايعين لها ، بزَّ جميع الكتاب فى اهتمامه بإقناع القارئ بفلسفته التشاؤمية ، وإلحاحه عليه فى ذلك .

* * *

تعد قصة « أغلال الإنسانية » Of Human Bondage آيته الفنية الكبرى . وقد قال عنها أحد النقاد إنها أشبه بالأعمال الكلاسيكية وسط الآيات الأدبية الحديثة . . . وهى أقرب إلى تصوير سيرة حياته منها إلى القصة وفق مفهومها المتعارف عليه . ولا تقتصر قيمتها على تعريف القارئ بلون الحياة التى عاشها ذلك المؤلف الكبير ، ولكنها تحلل شخصيته فتعين القارئ على تفهم معانيه وإدراك اتجاهاته وغاياته وما يترتب على ذلك من تفسير مقاصده المحتاجة إلى تبين . لقد وصف

لنا «موم» فى تلك القصة حياته الخشنة المريرة التى عاشها فى كنف عمه ، وعبّر عما كان يعانيه من ألم وعذاب بسبب عاهته ، وعما كان يداعبه من أمل فى البرء منها ، ثم ما كان يصيبه بعد ذلك من خيبه أمل مضنية . . .

كان يتوسل إلى البرء من تلك العـاهة بالدعوات والابتهالات والرياضة الروحية ، وكان يقضى لياليه داعياً راجياً منهمر الدموع حتى إذا طلع الصباح هبّ من فراشه لهفاً على الشفاء ، فإذا سار خطوة واحدة صدمه الواقع المرير ، وألقى به بين براثن اليأس من جديد . . . ومن ثم صار ينفس على أصحاب العافية عافيتهم ، وينظر إلى الدنيا بمنظار أسود . .

وفى عام ١٨٩٧ نشر أول قصة له باسم « ليزا حى لامبث » ، «Liza of Lambeth» وصور بها حياة الضنك والعوز فى ذلك الحى الفقير ، وسجل خواطره وتجاربه المستخلصة من حياته وهو طبيب امتياز فى مستشفى الحى المذكور . ولكن أولى قصصه التى فازت بالشهرة والرواج هى قصة « رجل شرف » «A Man of Honour» ، وقد صدرت طبعتها الأولى عام ١٩٠٣ . . . وكان أول نجاح له فى تصوير الشخصيات ، تصويره لشخصية « ليدى فردريك » فى المسرحية المسماة باسمها . ثم تدفقت أعماله المسرحية التى استمتع النظارة بمشاهدتها فى عواصم أوربا

وأمريكا . وأغلب مسرحياته تصور كما قلنا حياة الأسرة الإنجليزية المتوسطة الحال فى أسلوب نقدى فكه لاذع .

وما وضعت الحرب العالمية الأولى أوزارها حتى شرع يكتب قصته المشهورة «القمروست بنسات» Moon and Six Pence وفرغ من كتابتها وإصدارها عام ١٩١٩ . وتتميز هذه القصة بأسلوبها الحار القوى التعبير ، ولعل ذلك يرجع إلى أن «موم» عبّر فى تلك القصة عن خوالج نفسه وأمانيها ، بل لعله رسم لنا نفسه إذ رسم بطلها .

كان هذا البطل من رجال المال ، يعمل نهاره ليجمع قدر ما يستطيع من الأوراق المالية ، وتعمل زوجته قدر ما تستطيع لتبديد ما يجمع . فهى لا تنقطع عن إقامة الحفلات ودعوة أهل الوجاهة والأناقة إليها . والزوج يضيق بحفلاتها ، وينفر من سراة القوم الذين تدعوهم . ورزق منها ولداً وبنتا . وصبر على تلك الحال حتى كبر ولداه ، وبلغا سن الرشد . وعندئذ شعر أنه أدى واجبه حيال أسرته ، فقد أمتع زوجته حقبة من الزمن ، وأحسن تربية ولديه ، وزودهما بما يحتاجان إليه من علم ليشقا طريقهما فى الحياة دون حاجة إلى عونه . . . شعر أنه أدى واجبه ، ومن حقه أن يشبع الآن هواية ظلت تدعوه وتلح فى دعوتها طوال السنين التى ظل يكدح خلالها ليوفر أسباب اللهو لأسرته . . . تلك هى هواية الرسم . . .

ويستطيع القارئ أن يدرك وجه الشبه بين مؤلف القصة وبطلها إذا علم أن «موم» كان يهوى الرسم إلى جانب هوايته للكتابة ، وأنه كان أيام عمله طبيباً فى مستشفى « لامبث » يتلهف على التفرغ للفن ، وأن سفره إلى باريس ، وتوطينه النفس على البقاء بها ، كان بقصد احتراف الرسم . . .

وهرب بطل القصة من زوجته وولديه ، وقصد إلى باريس موطن الفن والجمال ، وأخذ يمارس هناك العمل الذى ملك عليه لبه ، وحمله على مغادرة وطنه وأهله وزوجته وولديه . . . وبرغم أنه ابتدع أروع اللوحات ، فهو لم يحقق الشهرة والمجد ، بل ظل مغموراً لا يجد حتى ما يقيم أوده . .

أراد «موم» أن يصور فى تلك القصة حياة الرسام الفرنسى جوجان ، ولكنه ظل وهو يكتب قصته ينظر فى نفسه هو ، ويعبّر عن مطامحها وخوالجها ، ويصور مواهبها ، ويبرّر إخفاقها . . . كان يؤمل يوم سافر إلى باريس أن يصبح رساماً شهيراً ، ولكنه اضطر إلى التحوّل من ميدان الرسم إلى ميدان الكتابة بعد إخفاقه فى تحقيق ما يصبو إليه .

وتشير القصة إلى أن سبب إخفاق ذلك الرسام الكبير فى ميدان الحياة الفنية ، برغم نجاحه المنقطع النظير فى ميدان الإبداع الفنى ، يرجع إلى تحليقه فوق مستوى الذوق العام ، وإلى إعطاء الفن قسطه من الإتقان دون تملق الرغبات

الجماهيرية . أما الرسامون الذين أصابوا الغنى والشهرة ، فى القصة ، فهم الذين تاجروا بفنهم ، ولم يستهدفوا — كما قال المؤلف — غير الكسب الوفير . . . عاش الرسام الكبير عيشة الفقير الحقير ، وعضّه الجوع فراح يفرض على الرسامين المشهورين دفع بعض المال ليسدّ رمقه . كان يأمر الواحد منهم أن يدفع له المبلغ الذى يحدّده فيذعن الرسام الناجح للأمر مدركاً مكانة آمره الفنية ، بل شاعراً كأنه اغتصب منه الغنى والشهرة . أما ذلك المخفق الخائب ، فى نظر الجهلاء ، فكان يستشعر القوة إذ يأمر أولئك الناجحين فيطيعونه ، وهل كان لهم محيص من الإذعان له ؟ ألم يكونوا يعرفون حقيقة قدره وقدرهم ؟ وهل من عجب أن يضعف الضعيف أمام قوة القوى ؟

ضاق بباريس ومجّها بعد أن كابد فيها غضاضة الإخفاق والوحدة ، ورحل عنها إلى بلدة نائية فى جزيرة من جزر الهند الشرقية ، وتزوج بفتاة من أهالى تلك البلاد . وهدأت نفسه هناك إذ لاءم بين نفسه وبين بيئته الجديدة . . كان فى باريس يعيش مغموراً بين إمعات مشهورين ، ولكنه يعيش الآن مغمورا بين أشقياء مثله مغمورين . . وخلا للفن ، وخلا الفن له ، وراح يرسم لا لشىء إلا لمتعة الرسم . . راح يرسم لنفسه ، منعزلا عن العالم ، متعالياً عما فيه من خير وشر ، وحسن وقبح ، ثم تفرغ لعمله الأكبر . لم يكتف

بلوحة يلوّنها ، ولكنه راح يصور على حائط داره المتضعة خواطر ذهنه غير المشتغل إلا بذاته ، ويعبر عن أحاسيس عقله الباطن وأوهامه . . . وراح يسجل هذا وذاك فى صور بلغت من الإتقان الفنّى والروعة الجمالية أوجهما . . رسم ذلك كله لنفسه ، وحبسه عن العيون داخل داره ، وقضى ألا يراه الناس إلا من يحج إليه متعبداً متهجداً . . . ولكن وباء دهم تلك الجزيرة وحصد أهلها حصداً ، وجاءت بعثة طبية لمقاومته ، ورأت فيما رأته من وسائل الوقاية أن تحرق البيوت الموبوءة ، وحرقت دار الفنان دون أن ترعى فى ذلك للفن حرمة ، وأتلفت النيران الآية الفنية الكبرى فى سبيل الحفاظ على بضع آلاف من حيوات التافهين من البشر . . . (وإذا كان المؤلف لم يصرح بذلك فهو يومئ إليه ، وتطبيقاً لمذهب الفن للفن ، يضع الفن فوق الحياة) .

لقد فسرت لنا هذه القصة جوانب متعددة من عقلية «موم» ونفسيته . فهو لم يبرر لنا فيها إخفاقه المبكر فى ميدان الرسم فحسب ، ولكنه فسّر مذهبه فى الفن وهو « مذهب الفن للفن » فالفنان الأصيل فى نظره لا ينفعل بما ينفعل به الناس . أو هو يبتعد عن الناس وينعزل على قدر ما يحققه من سموّ فنى . . . إنه يعيش لفنه ، أو يعيش لنفسه ، وتظل آياته الفنية فوق متناول الناس ، أو خافية على الناس حتّى يأتى عليها البلى ! . . . ويترتب على ذلك دون شك أنه على قدر

شعوره بعذاب الوحدة ، ووحشة الانزواء ، وجوع الجسد والروح ، يكون حقده على الناس ، وتجسيمه لهفواتهم وهناتهم . . .

* * *

وتطبيقاً لمذهب الفن للفن أيضاً يختار «موم» لقصصه الموضوع الذى يصلح للبناء الفنى بصرف النظر عن مختلف الاعتراضات الأدبية والتقليدية . ومن أمثلة ذلك قصته « الكعك والجعة » Cakes and Ale التى أصدرها عام ١٩٣٠ وصوّر فيها شخصية الكاتب الإنجليزى الكبير « توماس هاردى » ، وفضح أسرار حياته الخاصة ، وعرّض بزوجته الشابة الفاتنة .

وتتلخص القصة فى أن كاتبا مرموقا ، برغم تفاهته تزوج بعد أن تجاوز سن الكهولة ، بصبية حسناء ، وتدلّه فى حبها إلى حد أن أبى الوقوف دون تحقيق أية رغبة من رغباتها ، فتركها تمرح وتستمتع بأية متعة تهفو إليها نفسها . . . رزقت الزوجة طفلا تعلقت به تعلق الأم خالية القلب . ولكن الطفل مات فحزنت عليه حزنا مبرحاً ، وناءت بحزنها الكبير فراحت تلتمس العزاء . . . ولكن ، كيف يكون العزاء ؟ أسلمت نفسها لأول من صادفت . . . وسألها الرجل وهو يهم بالانصراف عنها : « لماذا تخونين زوجك ؟ » . فأجابته فى دهشة وامتعاض : « أخون زوجى ؟ ! . . . هذه كلمة

كبيرة . . . أنا لا أخون زوجى ، فهو على علم بكل ما أقترف . . . أنا أعترف له بكل شىء ! ! . . » ، أما الزوج فيبرر مسلكه بأن زوجته الحسناء أشبه بالوردة التى تتفتح للناس ، ولا تستطيع أن تضنّ عليهم بحسنها وعبيرها ! !

ويكرر «موم» فى هذه القصة نفس المعنى الذى ذكره فى قصته عن سيرة الرسام جوجان . فهو يصف ذلك الكاتب الشهير بالتفاهة والإسفاف ، ويقول عن هاتين الصفتين إنهما اللتان تجذبان أنظار الجماهير . .

* * *

أراد «موم» أن يكون فى قصصه محللا لنفوس البشر ، ناقداً لسلوكهم ، مصوراً لحقيقة طباعهم وسجاياهم . ولكن ظروف حياته التى تحدثنا عنها جعلته لا ينظر إلا إلى جوانب النقص والعيب والشر فيهم ، مغضياً النظر عن جوانبهم الأخرى الطيبة الفاضلة الخيرة . . . لقد جعلت تلك الظروف منه ناقداً متشائماً ، كلبىّ النزعة ، هدام الغاية . فهو إذ يضطر إلى الاعتراف بميل بعض النفوس إلى الخير وتشبثها بالفضيلة يصور ذلك على أنه عرض لا يلبث أن يتبدد أمام الشر الذى جبلت عليه النفوس ، وقد يصوره نزعة عارضة غير طبيعية لا تلبث النفوس أن تعود بعدها إلى حالتها الأولى . . . وخير مصداق على ذلك ما جاء بقصته (القناع المموه) The Painted Veil. ... تدور حوادث هذه القصة فى ثغر من ثغور

الشرق الأقصى ، وتبدأ بمشهد مثير . . . زوجة تخون قرينها
فى منزل الزوجية . . . كانت مرتمية بين أحضان عشيقها فى
غرفة الجلوس حينما شاهدت ستار الباب يتحرك ، أو خيل
إليها أنه يتحرك ، فأفاقت مرتعبة من نشوة الحب الآثم ،
وأفضت إلى عشيقها بما رأته ، أو بما خيل إليها أنها رأته ،
وبرغم فزع العشيق راح يطمئنها ويطمئن نفسه بأن زوجها
لن يعود من رحلته إلا بعد أيام ، وأن ما رأته محض أوهام .

ولكن الزوج كان قد رآها متلبسة بالخيانة فعلا ، وأنبأها
أنه كان على علم من قبل بعلاقتها الآثمة بذلك العشيق ، وأنه
سيسافر متطوعاً إلى بلاد نائية لمكافحة وباء انتشر فيها .
فاعترفت له بأنها لم تعد تحبه ، وأنها تطلب الطلاق لتتزوج
من حبيبها الجديد . . . ولكن الزوج الذى راعى العشرة
القديمة أخبرها أنه لن يرغمها على البقاء معه ، فهو على أتم
استعداد لتطليقها بشرط أن يتعهد ذلك العاشق أن يتزوجها
بعد طلاقها . . . وغمرت الفرحة قلب المرأة التى أعماها
الحب ، وطارت إلى حبيبها تزف إليه هذه البشرى ، فلم
يبق بينهما وبين السعادة الكاملة إلا أن يكتب لها كلمتين
يتعهد فيهما بقبوله الزواج بها . . . وبهتت تلك الغافلة إذ
رأت وجه العاشق المدله يكفهر من حيث قدرت أنه
سيتهلل . . . وكادت تشك فى صدق أذنيها حين سمعته يقول
إنه لا يستطيع التوقيع على مثل هذا التعهد . ونظرت إليه

بازدراء وهو يحاول تبرير امتناعه عن إجابة طلبها بأن الأمر يتعلق بسمعتها قبل أن يتعلق بسمعته ، وبمستقبلها قبل أن يتعلق بمستقبله .

وعادت إلى بيتها فوجدته خالياً ، وأوحشها ألا ترى زوجها فيه . وظهر لها الفرق الواضح بين ذلك الزوج الذى راعى شعورها ، وأبقى على كرامتها ، وبين ذلك العاشق الفاسق الذى آذى شعورها وأهدر كرامتها . . . وعقدت عزمها عندئذ على التكفير عن خطيئتها بالإقدام على أمر خطير . . . عقدت عزمها على التطوع هى الأخرى لمكافحة الوباء . . فإما أن يقضى عليها الوباء فيطهرها حينئذ الموت ، وإما أن تناضل مع المناضلين حتى تتغلب عليه ، فيخفف عملها الطيب من فداحة جرمها . .

وفاجأت زوجها بمقدمها ، ولم تكن تتوقع ترحيبه بها ، فقابلها بإعراض وازدراء لم تتوقعهما كذلك . وقال لها فيما قال إنها جاءت إلى مكان لا موضع فيه لعبث العابثات ، ولكن المرأة الشقية التى برحت بها الإهانة والعار أكدت له ندمها وتوبتها . وطالعت فى نظراته الإنكار فراحت تلح عليه أن يجربها ، وتقسم أنها جاءت تنشد الموت لتمحو عارها . . . وأذعن الزوج لتوسلاتها ، وعملت معه جنباً إلى جنب فى مكافحة الوباء اللعين ، فكانت تضرم النار فى الأكواخ الموبوءة ، وتنقل المصابين بالداء إلى المستشفى ، وتنفق الليل

فى السهر عليهم ، وتغالب التعب والنعاس ، وتواجه الموت متحدية ، بل متمنّية أن يختطفها وينقذها من عذابها النفسى . ولم تغفل عين الزوج عن مظهر زوجته ومخبرها . كان يبصر جهادها المستميت فى سبيل إنقاذ المعرّضين للموت . وكان يرى المعركة الناشبة فى نفسها وقد أثارها تأنيب ضميرها ، فارتاحت نفسه لما أبصر ورأى ، وتبدد حنقه عليها ، وغفر لها ما سلف . . . وتعرضت الزوجة لمحنة طهرت ما بقى بنفسها من درن . فقد أصاب الوباء زوجها فقامت على تمريضه ، وسهرت عليه الليالى الطوال ، وتمزقت نفسها أسى عليه ، وإشفاقاً على نفسها من بعده . ولكن الداء ألح عليه ، وعز الشفاء ، وتربّص الموت للانقضاض عليه . . وقال الزوج لزوجته وهو يسلم الروح : إنه يموت راضى النفس ، مستريح البال ، بعد أن استوثق من توبتها ، وبعد أن رأى من بذلها وإيثارها ما هو جدير بالتكفير عن أكبر الذنوب . . وأسلم الزوج الروح وهو مطمئن على زوجته . وأقسمت الأرملة على جثته أن تقضى ما بقى من أيامها فى خدمة الفضيلة والخير .

عادت إلى بيتها وحيدة كسيرة القلب . وأخذت تستعد للسفر إلى إنجلترا مسقط رأسها ، وصك أذنيها على غرّة طرق على الباب بينما كادت تفرغ من إعداد حقائبها . وفوجئت بما ارتعدت له فرائصها فزعاً وغضباً . . رأت الرجل الذى

خدعها وخذلها وأهانها يدخل عليها الغرفة باسم الثغر ، مشرق الوجه ، وكأنما العلاقة القديمة بينهما ما زالت على عهدها دون أن يطرأ عليها ما يعكر صفوها . .

صرخت فى وجهه « ماذا تريد ؟ لا تدنس هذا المكان بوجودك . . . اخرج » ، وابتلع الرجل إهانتها ، وابتسم لها حتى لكأنها تصد عنه دلالا . . وأقبل عليها وهى تتراجع مذعورة . . ولامها على سوء لقائها له . وأقسم أنه لم يذق للنوم وراحة البال طعما منذ رحيلها ، وأنه ازداد فى غيبتها تعلقاً بها ولهفة عليها . . . وكانت تدفعه بعيداً عنها وهو يحاول ضمها وتقبيلها . وظل النضال بينهما على أشده ، وخوفها يزيدها ضعفاً ، ورغبته المتأججة تزيده قوة وبطشاً . وتمكن بعد جهد أن يطوق خصرها بذراعيه القويتين ، وأن يضمها إلى صدره ، فارتجفت وتخاذلت . . . ثم تمكن ثغره من ثغرها فانهارت البقية الباقية من مقاومتها . . .

ولم تستطع الحراك على أثر مغادرته الغرفة ، فقد سحقها الخزى والعار واليأس . . .

ولا يظنن القارئ أن «موم» عرض هذه المرأة فى قصته على أنها نموذج لصنف من النساء ، ولكنه عرضها بحسبانها أنموذجاً لبنات حواء عامة . . . فهذا هو رأيه فى الإنسان قاطبة سواء فى ذلك الرجل والأنثى ، وليس أدل على هذا من الرجوع إلى قصصه وتمحيصها ، فهى تتضح دائماً بتلك النزعة

التشاؤمية الكلبية المنكرة لوجود الخير والفضيلة .

وسنقتصر هنا على ضرب عدد قليل من الأمثلة لذلك ، ففى قصته : « المطر » The Rain نجد على ظهر سفينة تمخر المحيط الهادى قساً لم يتوان عن تأدية مهمته الدينية حتى أثناء سفره . فهو لا يكف عن الإثقال على رفقائه بمواعظه التى لا ينضب لها معين . وكانت السفينة تضم فيمن تضمه من المسافرين غانية تحترف الرقص لعلها كانت أولى من غيرها بوعظ القس ، ولكن هذا الواعظ الورع ازدراها ، وأشاح بوجهه عنها بدل العطف عليها ومحاولة هدايتها .

رست السفينة فى أحد ثغور الشرق الأقصى ، ولم يكن به إلا نزل واحد يؤوى أولئك المسافرين . وانهمر وقتذاك مطر كأنه يتدفق من أفواه القرب . وهرع الجميع إلى ذلك المنزل ، ولكن القس أبى على الغانية الراقصة أن يضمها وإياه سقف واحد . . . فالشيطان يتقمص جسدها ! ومن المستحيل أن يرضى مثله برفقة الشيطان ! . . وتوسط لديه بعض الحاضرين وقالوا إنه يحكم عليها بالموت إذا تركها تبيت فى العراء تحت وابل ذلك الغيث المنهمر . وقبل بعد لأى أن تبيت ليلتها فى النزل على أن تبحث لها فى الصباح عن مكان آخر تنزل فيه .

وجلس القس فى بهو النزل ، ورشقت عيناه الغانية مرة بعد مرة ، ورآها تقوم وتخرج من البهو ، وخفق قلبه لمشيتها

الراقصة التى زادت قطوف جسدها حسناً ورواء . . .
وتقمّص الشيطان جسده هو أيضاً ، ولذعت جوانبه رغبة
ملحة فى لمس هذه القطوف اليانعة ، ولم يستطع كبح جماح
نفسه ، وأقبل عليها يلاطفها متظاهراً بأنه يحاول هدايتها . . .
وفى الهزيع الثانى من الليل سمع جميع من فى النزل صراخاً
صادراً من غرفة الغانية ، وهرعوا إلى مصدر الصوت ،
فوجدوا باب الغرفة ينفتح بعنف ، ويخرج منه القس مهرولا
وهو يحمى رأسه بيديه ، ومن ورائه الغانية تضربه وتصيح :
« أتدّعى الورع وأنت أفسق الفاسقين ، وأحط خلق الله
أجمعين ؟ ! . . . » .

وفى إحدى قصص هذا المؤلف المتشائم نجد رجلا يبدو
طيباً خيراً ، ولكن نفسه تنطوى على الشر برغم ذلك المظهر
الخلاب . كان رجل أعمال ناجح واسع الثراء ، جاءه مرة
شاب معوز يطلب لديه عملا ليرتزق . وألحّ عليه فى الطلب
حتى ضايقه بإلحاحه . فخطرت للرجل فكرة جهنمية أمدته
بلذة شيطانية . راهن الفتى على قدر كبير من المال يعطيه
إياه فيما إذا استطاع (أى الفتى) أن ينزل إلى البحر ويقطع
المسافة من الشاطئ إلى الفنار سباحة ، وكانت المسافة
طويلة ، والأمواج العالية المتكسرة على الصخور المحيطة
بالفنار تدّخر للمقترب منها موتاً محققاً . وقبل الفتى الرهان
الإجرامى وقد تمكن منه الخور واليأس . وسبح حتى وصل

إلى المكان الرهيب ، فقذفت به الأمواج القاسية إلى الصخور ، وظلت تجره وتقذفها به دواليك حتى هشمته ثم ابتلعته . . .

وللمؤلف قصة قصيرة أخرى صاغها على عكس القصة القصيرة المشار إليها وإن كان قد استدل بها على نفس المدلول . ومحصلها أن أفاكاً خلاب الأسلوب فى معاملته للناس ، استرعى انتباه المسافرين معه فى رحلة على ظهر إحدى البواخر العابرة للمحيطات . وانخرط إحدى الليالى فى سلك مجلس يضم امرأة وزوجها وبعض أصدقائهما . وأخذ القوم يسمرون ، وتحدث الرجل عن نفسه ، وتباهى بأن خبرته فى تمييز الجواهر لا تدانيها خبرة حتى أنه يستطيع كشف الزائف منها لأول وهلة دون الاستعانة بمنظار . وكانت الزوجة ترتدى عقداً يتلألأ تحت أضواء الثريات الساطعة ، فراهنه الزوج على معرفة حقيقة ذلك العقد أهو زائف أم أصيل . وامتقع وجه الزوجة . فقد كانت توهم زوجها أن المجوهرات التى تتزين بها زائفة ، وأنها تشتريها بثمن بخس ، فى حين أنها كانت هدايا من عشيقها الموسر . . . ونظر الرجل إلى العقد ، ولم تغب عنه نظرة توسل صوبتها الزوجة إليه . وكان من عادته أن يبيع أعز الحرمات فى سبيل الفوز بأى مبلغ من المال . . . ولكنه تردد هذه المرة ، وحزت نظرة المرأة فى نفسه . . . وأسرع إلى قوله إن العقد زائف . وخسر الرهان . . . وتنفست المرأة الخائنة الصعداء . . . هكذا

يعرض «موم» الأمور . فهو يعد التستر على الزوجة الخائنة عملا كريماً . ويرى أن الذى قام بهذا العمل الكريم رجل خسيس خرج على عادته لنزوة طارئة لا لأن الخير والشر يعتملان فى النفوس . . . فالخسة ديدن النفوس ، والنخوة نزوة عارضة ! ! .

* * *

ويضيق «موم» بمختلف المجتمعات سواء أكانت متمسكة بالتقاليد الموروثة ، والقواعد الأخلاقية المقررة ، أم خارجة عليها . وقد عبر عن ذلك فى قصته « عطلة كريسماس » . وهى قصة فتى إنجليزى أراد والداه أن يظهرا رضاهما عنه . فسمحا له أن يقضى عطلة رأس السنة فى باريس . وهناك ارتاد المراقص الباريسية ، وأذهله ما رأى فيها من أفانين اللهو والفجور وهو الإنجليزى البوجوازى الذى عاش بين مجتمع محافظ متزمت . . عرف فى أحد تلك المراقص بنتا من بنات اللهو ، وجذبه إليها ما تميزت به من رقة ودماثة وجمال وسألها عن الظروف التى انتهت بها إلى احتراف الرقص فروت له قصتها . قالت إنها روسية الجنس هاجرت إلى باريس لأسباب سياسية ، ومال قلبها إلى فتى باريسى وسيم وبادلها الفتى حباً بحب ، وكانت الفتاة وقتذاك شريفة متمسكة بأهداب الفضيلة . ولم يكن محيص من أن تنتهى مثل هذه العلاقة بالزواج . وكانت أم الفتى قمينة أن تمانع فى أن يعقد

ابنها على فتاة أجنبية ، وهى العجوز المتمسكة بتقاليد قومها . ولكنها أعجبت بالفتاة ، ورضيت بها زوجة لوحيدها . وأراد الزوج بعد عقد الزواج أن يوفر لزوجته الرفاهية وبحبوحة العيش ، فلم يجد لذلك وسيلة أيسر من السرقة . . . سرق وقتل ضحيته ، ووقع فى قبضة الشرطة ، وزُج به فى السجن . وحز فى نفس الزوجة العاشقة أن يرتكب حبيبها هذا الإثم . . . اعتزمت عندئذ أن تذل نفسها لتكفر عن إثم زوجها . . . وهكذا باعت نفسها للشيطان ، وأهدرت كرامتها فى ميدان الرذيلة ! . . .

وبكت الفتاة بعد أن روت قصتها . . . وتساءل الفتى الإنجليزى أهذه قصة حقيقية ؟ . . . لا ، بل قصة ملفقة تستهدف بها الفتاة تبرير العهر والفجور . . .

وعاد الفتى إلى وطنه ، واستأنف حياته بين مجتمعه مرتاحا إلى ابتعاده عن البيئة التى عاش بين ظهرانيها . . . ولكنه بدأ يرى ما لم يكن يراه قبل تجاربه الباريسية . رأى حياة قومه تقوم على الرياء والنفاق أيضاً رغم مظهرها المحافظ المتزمت . فأنف من تلك الحياة مثلما أنف من حياة المجتمع الباريسى . . .

ولكن الذى يذكر «لموم» بالحمد أنه فى معرض الحديث عن العلاقة بين المتحضرين البيض والأجناس الأخرى ، يشدد النكير على قومه البيض ، ويعطف على الأجناس المتخلفة ، وكأنه يريد أن يقول إن الحضارة الغربية هى التى تضاعف

الفساد بغرس الزهو الباطل والغطرسة الممقوتة فى النفوس . وقد وضح رأيه هذا فى قصته المعروفة « الرسالة » The Letter .

وحوادث هذه القصة تقع أيضاً فى إحدى جزر الهند الشرقية . ومحصلها أن امرأة انجليزية قتلت أحد أصدقاء زوجها بينما كان هذا الأخير على سفر ، وادعت فى التحقيق أنه زارها منتهزاً فرصة غياب زوجها وحاول اغتصابها فاضطرت إلى إطلاق الرصاص عليه صونا لعرضها ، ودفاعاً عن شرفها . وبدأ هذا الدفاع مقنعاً للمحقق ، ولكن الحقيقة كانت على خلاف ذلك . فالقتيل كان عشيق القاتلة . وكانت تزوره فى بيته خفية لترشف من سلاف الحب الحرام ، وأحدثت الأيام أثرها فى تلك العلاقة ، وأخذ الرجل يمل تلك الزوجة الغادرة . ثم صارحها يوماً بأنه لم يعد يحبها ، وأنه يريد قطع علاقته بها . وحز ذلك فى نفسها ، ولكن الذى أطاش صوابها أنه استبدل بها فتاة « أسيوية » ! . . أهناك إهانة يمكن أن تلحق « سيدة » أوربية أبلغ من تلك الأهانة ؟ . . أترقد تلك الخادم الصفراء القذرة فى نفس الفراش الذى كانت ترقد هى فيه ؟ ... أتحل محلها بين أحضان الرجل الذى تحبه ؟ ... أيؤثرها ذلك الرجل عليها ؟ ! . صممت على أن تغسل تلك الإهانة بالدم ، فكتبت إلى الرجل رسالة تدعوه فيها إلى زيارتها ، وتنتحل لذلك عذراً . . . ونفذت الخطة الجهنمية التى أعدتها ، وثأرت لكرامتها المهدرة . . . وقتلت الرجل.

وجاءها ذات يوم رسول من قبل غريمتها الأسيوية ، وأخبرها أن هذه المرأة تحتفظ « بالرسالة » التى سبق أن بعثت بها للقتيل ، وأن المرأة المذكورة على استعداد لرد الرسالة إليها بشريطة أن تأتى إليها بنفسها ، وتنحنى أمامها ، وتطلب ذلك منها جاثية على ركبتيها . . . وتغلب جبن السيدة الأوربية على كرامتها المصطنعة ، وذهبت إلى المرأة التى تحتقرها وتمقتها ، وانحنت أمامها مزدردة كبرياءها ، وتوسلت إليها أن ترد لها رسالتها . . . جاثية على قدميها . . .

* * *

ومن النقد المرير الذى وجهه «موم» للمجتمع الأوربى أن العلم يضر بصاحبه بينما الجهل يعود عليه بالخير الجزيل . وقد عبر عن ذلك فى قصة قصيرة ملخصها أن البابا أصدر أمراً بألا يشغل وظيفة شماس فى مختلف الكنائس إلا من يحسن القراءة والكتابة ، وأعطى مهلة للشمامسة الأميين يحصّلون خلالها العلم الذى فاتهم أن يحصلوه ، وانعقد لهم امتحان بعد انقضاء المهلة ، ورسب أحدهم فى الامتحان . . . ومنح مهلة أخرى ، ولكن تحصيل العلم استعصى عليه ورسب مرة ثانية . . . وفصل من خدمة الكنيسة . قصد بعد فصله إلى داره كسير القلب ، محطم النفس ، وهفت نفسه فى الطريق إلى لفافة يدخنها . وجعل يتلفت فى أثناء سيره يميناً وشمالا لعل

عينه تقع على دكان سجائر ، ولكنه لم يجد ما ينشده . وكان جيبه منتفخاً حين ذاك بمبلغ المكافأة التى حصل عليها نظير خدمته الطويلة ، ولم يستقر رأيه على كيفية استثمارها ، فخطر له عندئذ أن يفتح دكاناً لبيع السجائر فى ذلك الشارع . . . ونفذ هذه الفكرة ، ونجح فى هذه التجارة ، وتضاعفت أرباحه . وأنشأ دكانا جديداً لبيع السجائر فى مكان آخر ، وزوّده بالحلوى واللعب لبيعها إلى الأطفال ، وظل ربحه فى ازدياد مطرد . . . وقصد يوماً إلى البنك ليسحب منه مبلغاً من المال يضيفه إلى رأسماله التجارى ، واستقبله مدير البنك فى مكتبه ، وأمر باستحضار المبلغ المطلوب ، وسلمه للتاجر الثرى وطلب إليه توقيع إيصال بتسلم المبلغ ، ولكن التاجر اعتذر بجهله للقراءة والكتابة . . . وعجب مدير البنك لذلك ، وسأله متعجباً : « أتحقق هذا النجاح الضخم فى التجارة وأنت أمى . . . ؟ فكيف تكون حالك لو أنك متعلم ! ؟ . . . » فأجاب الرجل ببساطة « أكون إلى الآن شماساً للكنيسة . . . » .

* * *

أراد «موم» من كتابة القصص المشار إليها أن يتحف العالم بأدب واقعى يصور نفوس البشر على حقيقتها ، ولا شك أنه قدم لنا صوراً فنية صادقة لكل ما صوره . . . نقول صادقة من باب التجاوز لأنها تصور ناحية من الأصل ، وتهمل

نواحيه الأخرى . فهى تصدق فى تصوير الناحية التى عكستها ، وهى تكذب حين توهمنا أن هذا هو الأصل على حقيقته ، لأن النقصان يعتورها حين تعرض الجزء على أنه كل . . أليست تجتزئ الأصل وتشوهه ؟ ؟ إن هذا الفنان العملاق يسلط قدرته التصويرية الخارقة على جانب من النفوس البشرية ، وهو الجانب الضعيف ، فى حين أن هذه النفوس تختزن جميع الميول التى لا يظهر منها إلا ما تبرزه ظروف الإنسان وملابسات حياته . والإنسان خيّر بطبعه ، ولا تستثير شروره إلا ظروف خارجية طارئة ، أو رغبات جائعة لم تشبع .

بدأ «موم» حياته الفنية آملا أن يصبح كاتباً واقعياً صادقاً ، وختمها كاتباً مثالياً يهرب من الحقيقة ويشطح وراء تصاوير الأوهام . . . لقد أصبح كذلك فى أهم قصة من قصصه الأخيرة ، وهى قصة « حد الموسى » .

تصور هذه القصة فتى أمريكياً ضاق بالحياة المادية المصطنعة فى بلاده ، وتعطشت روحه إلى الانطلاق من قيودها الثقيلة المرهقة ، وتطلعت إلى ما وراء سياج ماديتها المزهقة ، فانطلق الفتى فى فجاج الأرض باحثاً عن الحق ، راجياً أن يجد لدى وقوفه عليه راحة البال بعد ما عانى من السأم والضيق ما عانى بسبب خيبة أمله فى الحب ، وفى السعادة وراحة البال . وطوى السهول والجبال ، وقطع الأنهار والمحيطات ،

وطوف فى كل صقع ، ودرس مختلف العقائد والآراء والتقاليد منقباً عن ذلك الحق المنشود ، ولكنه لم يجد ما يشفى ظمأه المبرح ، ويعيد الطمأنينة إلى نفسه المعذبة حتى نزل بلاد الهند ، والتقى هناك على ظهر جبل عال ناء خاو منعزل عن الناس ، بزاهد حكيم منقطع للعبادة والرياضة الروحية . ووقف من هذا العالم على فلسفة البوذية والصوفية ، فوجد فيها ما ينشده ، وارتوت نفسه الظمآنة ، وارتاح باله المبلبل . . ويعود من الهند إلى موطنه وقد أصبح إنساناً آخر مختلفاً كل الاختلاف عما كان عليه . . . أحس أنه تطهر من أدناس الإنسان وأوصابه ، وشفى من شر أدواء البشر وهو داء الغرور ، وأصبح لا يبالى بحماقات الناس وتفاهاتهم ، بل أصبح يشفق عليهم من تباهيهم برغم عجزهم وضعفهم .

هذا هو رأى «موم» فى البشرية ، وفى وسيلة تطبيبها وتطهيرها من ذنوبها وعيوبها . . . وقد يسأل قارئ : لماذا إذن نترجم أعمال هذا المؤلف وهو على ما وصفناه ؟ ولكأن هذا القارئ يريد أن يقتصر اطلاعنا على لون واحد من الأدب ، وهو المشرق المتفائل ! ! وبرغم أن هذا اللون الأخير هو خير ألوان الأدب وأشرفها ، إلا أن ذلك لا يجوز أن يصرفنا عن الاطلاع على سائر تلك الألوان ، فالثقافة لا تكتمل إلا بإلمام ناشدها بمختلف جوانبها . . . و«موم» إمام من أئمة الأدب الإنجليزى الحديث ، بل إنه إمام الكتابة

التشاؤمية الكلبية فى هذا العصر ، وبذلك يكون الاطلاع على أعماله الأدبية ضرورة لا غنى للمثقفين عنها . ثم إنه أستاذ لا يبارى من ناحية أخرى سبق أن تحدثنا عنها ، وهى ناحية الصياغة القصصية وأسلوب الكتابة ، فهو خير من يجيد فى هذا العصر تصميم القصة ، وخير من يصوغ المعنى فى أوضح عبارة وأبلغها وأجملها ، إنه كالتاجر اللبق الذى يعرف كيف يعرض عليك بضاعته ، فهو يبرز نواحى جمالها ، ويحملك على النظر إليها من الزاوية التى تبدو منها فى أحسن حالاتها . . . إن «موم» يعرف كيف يخلب لبك ، بل كيف يسحرك ببساطته المعجزة فى التعبير عن أدق المعانى ، وفى خلق الجو الذى يجعلك تعيش مع شخوص القصة ، وتخبر طباعهم ، وتكابد معهم ما يكابدون من صعاب . ولا شك أن أدباءنا فى حاجة إلى تلقن دروس عنه فى هذا المضمار ، ومما يدل على أهمية أعماله الأدبية أن الاتحاد السوفيتى قرر ترجمة مؤلفاته إلى الروسية برغم اختلاف وجهات النظر . . . إن «موم» من أدرى الناس بمداخل الفن ومخارجه ، كيف لا وهو من أشد المتعصبين لمذهب الفن للفن ! . . إنه يضع الإتقان الفنى فوق المضمون ، وفوق المعنى ، بل وفوق الحقيقة الواقعية . . . فلا عجب إذا بلغ إتقانه الفنى الذروة العليا . ولا عجب إذا أقبل الأدباء على مؤلفاته يتعلمون منها أصول الفن ، وأسرار تجويده .

* * *

بيد أن الرأى فى الملهاة التى نقدم لها هنا يختلف عن الرأى فى أعمال «موم» التى حدثنا القارئ عنها . فقد سلمت من روح التشاؤم الكلبى الذى ساد بعض قصصه ، بل لعلها نسجت على منوال مختلف عن منوال تلك القصص . . وقد آن أن نقول عنها كلمةتكشف عن اتجاهاتها السليمة التى دعت إلى اختيارها لنقلها إلى اللغة العربية .

يصور لنا المؤلف فى هذه الملهاة امرأة حصانا تخلص لزوجها برغم خيانته لها ، وتستطيع ببقائها على عهده أن تستميله إليها بعد هجره لها ، وتستعيد حبه بعد سلوانه . . . وقد اختار لبطلة القصة اسما صار منذ القدم رمزاً لوفاء الزوجة الحصان ، وهو اسم « بينيلوبى » ، بطلة ملحمة الأوديسة . .

بينيلوبى هذه هى زوجة أوديسيوس فارس حرب طروادة وبطلها المغوار الذى استطاع بشجاعته وقوة ساعده ، وجرأة جنانه ، وسعة حيلته فى الحرب ، وصبره على الشدائد . أن يقهر أعداءه ، ويخرج من غمار تلك الحرب الطويلة المضنية منتصراً . ركب البحر بعد انتصاره ميمّماً وجهه شطر وطنه وقد برح به الحنين إلى زوجته « بينيلوبى » ، ولكنه ضل فى فسحة البحر الزاخر ، ورمت به الأقدار إلى بلد الفاتنة « كاليبو » ، ووقع المحظور ، وهامت به هذه الغادة هياماً ، بل جنت به جنوناً ، ولم تزل به تغريه وتصبيه حتى علق بحبائل حبها ، وكاد ينسى بين أحضانها زوجته الشريفة المخلصة .

وظن ملوك اليونان ، بعد أن طالت غيبته ، أنه لقى حتفه ، أو أنه لن يثوب ، فطمع كل منهم فى الزواج ببينليوبى ، وتودد إليها ، وطلب منها أن تقبله بعلا ، وألحف فى طلبه . ولما ضيق أولئك الملوك عليها الخناق ، وطالت مراوغتها لهم وخشيت مغبة إعراضها عنهم ، وإهمال طلبهم ، وعدتهم أن تختار من بينهم زوجاً لها عند ما تفرغ من نسج ثوب الزفاف . وعكفت على منوالها ، ودأبت على نسج ذلك الثوب . ولكنها كانت تنقض أثناء الليل ما نسجته خلال النهار ، آملة أن يعود إليها زوجها الحبيب فى غضون ذلك بعد طول الغياب . . . ولم يخب فألها ، وعاد زوجها الحبيب مستخفياً . . . ووقف على ما كان من أمر زوجته . . وعرفه ابنه تليماك . . ودبرا معاً خطة استطاعا بها أن يقضيا على أولئك الملوك الطامعين فى الزواج من بينيلوبى . . والتأم شمل الزوجين . وعاد أوديسيوس أشد حباً ووفاء لزوجته من قبل . . . اختار «موم» اسم بينيلوبى الوفية لبطلة ملهاته التى تصور جانباً من حياة أسرة إنجليزية متوسطة الحال ، هى أسرة أوفاريل المكونة من زوج طبيب يدعى ديكى أوفاريل ، وزوجة تدعى بينيلوبى . . . وصل إلى علم الزوجة أن زوجها يخونها فأرسلت فى طلب أهلها ، وحضر إليها فى الميعاد الذى حددته كل من أبيها « تشارلز جولايتلى » ، وأمها « إيزابل جولايتلى » ، وخالها « دافينبورت بارلو » و « بيدزوورث »

محامى الأسرة . وبعد أن انتظم عقد الحاضرين أنبأتهم أن زوجها ديكى اتخذ له عشيقة تدعى « أدا فيرجسون » ، وقالت إنه أخذ منذ ذلك الحين يطيل هجره لها ، ويكذب عليها ، ويهمل شأنها وهى لا تدرك لهذه الخيانة سبباً ، فقد أحبت زوجها حبا صادقاً ، بل هامت به هياماً ، وأخلصت له كل الإخلاص ، ولذلك فقد حز غدره فى نفسها ، ولم يعد يشفى لوعتها وكرامتها الجريحة إلا أن تهجره ، على أن يكون ذلك بعد أن تشتبك معه فى شجار مشتعل الأوار ، وتفضحه أمامهم جميعاً . . . ولم تجد بين الحاضرين عاقلا يرد لها صوابها إلا أباها الذى حسبته الأسرة عالماً نظرياً لا يعرف من أمور الدنيا شيئاً . ولكن العالم النظرى الذى يحل المشكلات بالأرقام هو وحده القادر بأرقامه ، وتحليله المادى . على الوصول حتى فى الحياة العملية إلى النتائج الصحيحة الحاسمة .
سأل الأب ابنته عما إذا كانت لا تزال تحب زوجها ؟ فأجابت بأنها تهيم به حباً ، فقال لها إن جمع واحد وواحد يساوى اثنين ، ولا يمكن أن يساوى ثلاثة . . . والطلاق الذى تطلبه لا يحقق لها ما تنشده ، بل يأتى بعكس النتيجة المرجوة . أليس ما تنشده أن تستعيد حب زوجها ، وتعود المياه إلى مجاريها ؟ وسألت الابنة أباها فى لهفة : أتحسب فى الإمكان أن أسترد حبه المفقود ؟ وعند ما أجاب أبوها بالإيجاب كادت تقفز من مقعدها ، وتلألأ نور الأمل فى عينيها .

وأخذت تردد السؤال : كيف ؟ كيف ؟ . . . كيف ؟ !
وأجاب أبوها فى هدوء العلماء إن الأمر يحتاج إلى قدر كبير من الحكمة ، وقدر كبير من الصبر ومن اللباقة . . . وقالت بينيلوبى وهى لا تكاد تلتقط أنفاسها : «أنا على استعداد للقيام بكل ما تفرضه على يا أبى فى سبيل الفوز بحبه من جديد . . . »

وهنا يبدو رجل العلم على حقيقته . إنه يرسم الخطة التى تؤدى إلى النتيجة المنشودة دون أن يقيم وزناً للتقاليد والمعنويات والعواطف البشرية . . . قال جولايتلى لابنته «يجب أن تكتمى عواطفك الحقيقية عن زوجك ، وتظهرى له غير ما تبطنين . لا تجلسى على ذراع مقعده وهو يدخن غليونه ويقرأ صحف الصباح . لا تلحى فى سؤاله عما إذا كان يحبك ، وتكررى ذلك فى الصباح والمساء . وإذا خرج من الدار لا تسأليه : إلى أين ؟ وإذا عاد فلا تسأليه من أين ؟ ثم عليك بالإقدام على ما هو أشق مما سبق . عليك ألا تظهرى له قط أنك تشكين فى أمر علاقاته بأدا فيرجسون ، وعليك فوق ذلك أن تتيحى له فرص الالتقاء بها حتى يشبع منها ، ويزهد فيها ، ويفقد حبه لها متعة الشىء المحرم الخافى العزيز المنال . . . أما أنت فلا تعطيه إلا القدر القليل من حبك ، ولا تمكنيه منك إلا بمقدار ، وتشعريه دائماً أن بك من المحاسن الخافية ما لم يكتشفها بعد ، وأنك حصن لا ينال إلا بالاقتحام . . »

وقالت بينيلوبى ذاهلة : « ولكنك تطلب إلى أن أصبح غولا مخيفة ! ! » وصاحت أمها السيدة جولايتلى : « ما هذه النصائح غير الأخلاقية ! » ولكن الرجل أصر على أن ما رسمه هو الطريق الوحيد لإسعاد ابنته . ولم تجد الابنة بداً من اتباع ما أشار به أبوها . صارت توهم زوجها ألا شيء يسعدها مثل أن تراه يرتشف من متع الحياة ليروح عن نفسه ويخفف من متاعب العمل . وطفقت تغريه بالخروج للفسحة ، وقلبها يتمزق أسى لعلمها بأنه سيقابل عشيقته . وكان كلما هم بالخروج هشت له ، وودعته بابتسامة حلوة ، فإذا غاب عن بصرها أغرقت فى بكاء عصبى مرير . . . وطال انتظارها للنتيجة المرجوة ، وكاد اليأس يدب إلى قلبها ، ولكن أدا فيرجسون كانت فى هذه الأثناء تتورط فى نفس الأخطاء التى كانت بينيلوبى ترتكبها من قبل . . فهى تثقل على ديكى بفرط حنانها ، وترهقه بحبها إرهاقاً . . . فإذا أراد الانصراف من بيتها طلبت بقاءه مدة أخرى ، وألحت فى ذلك . وإذا أصر على الانصراف سألته إلى أين ؟ ، وأبت أن تخلى له الطريق حتى يحدد لها الموعد الجديد . . . هذا إلى استحلاب ماله بشتى الحيل المنفرة . . وشعرت بينيلوبى فى النهاية بنسائم الفرج تهب . ثم أيقنت أن حب زوجها لغريمتها بدأ يفتر ، واستوثقت أخيراً أنه بدأ يمقت تلك الغريمة ، ويلتمس وسائل الخلاص منها .

ولم تستطع بينيلوبى ذات مرة أن تكتم ضحكها بينما كان زوجها يحاول تضليلها كعادته ، وانطلقت ضحكاتها فى وجه زوجها رنانة مجلجلة . . . وذهل الزوج ، وسألها عما يضحكها . فأجابت بعد أن عجزت عن مواصلة تظاهرها بالغفلة .

« إنى أعلم كل شىء يا حبيبى » .

« عم تتحدثين ؟ »

« عن علاقتك بأدا فيرجسون »

وجفل الزوج ، ولكنه تمالك جأشه وقال فى تعال :

« إن ما تقولينه وهم وضلال » .

وراحت بينيلوبى تشير إلى وقائع تقطع بأنها على علم بكل ما حدث بينه وبين أدا فيرجسون . وأسقط فى يد الزوج وسأل :

« ألست غاضبة ؟ »

« لا يا عزيزى ، فإنك قد رفهت عن نفسك قليلا . وليس من داع إلى تضخيم هفوتك »

وثارت ثائرة الزوج لأن زوجته لم تغضب ، ولم تغر ، ولم تشتبك معه فى شجار عنيف ، وتطلب الطلاق . . اعترف بأنه أخطأ . . . ولكن بين جنبيه ضميراً كان لا يكف عن تأنيبه طوال مدة خيانته . أما زوجته التى لا ترى فى خيانته لها إثماً كبيراً ، فهى التى لا خلق لها ولا ضمير . . . أو هى

على الأقل لا تحبه .

وراحت بينيلوبى لأبيها تروى له ما حدث بينها وبين زوجها . . . وتستطلع رأيه فى الخطة التالية التى تخطوها . فأشار عليها أن تثبت على الخطة التى اختطها فتظل تتظاهر بعدم المبالاة . فإذا أبدى زوجها ندمه الصادق على ما ارتكب ضبطت أعصابها ، وكتمت عواطفها ، وأمسكت عن الارتماء بين أحضانه غافرة ما سلف ، ومغتبطة بعودة المياه إلى مجاريها . . .

ونفذت نصيحة أبيها وهى تتلهف على الارتماء فى أحضان زوجها ، والاستمتاع بوصله . وازداد حب زوجها لها بمقدار صدها ودلالها . وأشرقت الحياة الزوجية من جديد بعد أن اكفهرت وكادت الأنواء تعصف بها .

* * *

هذه الملهاة تختلف فى مضمونها عن سائر مؤلفات «موم» وإن كانت لا تختلف عنها من حيث جمال الأسلوب الروائى والإتقان الفنى . . . فظروف الحياة فيها هى التى تفرض على الناس السلوك الذى لا محيص لهم عن اتباعه . وهى تتطلب أن يصطنع الناس المظاهر المخالفة لطبيعتهم حتى يستطيعوا تحقيق ما يصبون إليه من متعة وسعادة . فها هى ذى بينيلوبى تذوب رقة وتضطر مع ذلك إلى اصطناع عدم المبالاة إلى حد القسوة . وهى تتدله هياماً بزوجها وتضطر كذلك إلى

اصطناع الجمود والسلوان . ثم هى زوجة حصان حميدة الخصال برغم مظهرها المناقض لمخبرها . وكذلك هى على خلاف بطلاته فى قصصه الأخرى ، أولئك اللواتى يظهرن الإخلاص وهن الخائنات ، ويتباهين بالشرف والفضيلة وهن الآثمات .

ولا نكران أن الملهاة لا تخلو من تصوير الزوجة الخؤون ، فها هى ذى أدا فيرجسون ، عشيقة ديكى ، تخون زوجها ، وهى لا تفتأ تذكر لشريكها فى الإثم أنها غدرت بزوجها من أجله . . . « فى حين يخدم ذلك الزوج وطنه فى بلاد نائية تقع وراء البحار ! ! » . . ويتخذ «موم» من هذه العبارة الأخيرة موضوعاً للتندر والمفاكهة ، ولكنه لا يجعل الخيانة ديدن المرأة كعادته فى قصصه ، فإن ضمير أدا فيرجسون يستيقظ فى آخر الملهاة ، ولا تحاول أن تستجد عشيقاً بعد هجر ديكى لها وعودته إلى زوجته ، وإنما ترحل إلى ما وراء البحار لتلحق بزوجها . . .

وأم بينيلوبى كذلك سيدة طيبة شريفة لم تقض حياتها مخلصة لزوجها فحسب ، ولكنها قضتها كذلك فى محاولة هداية الضالين . . .

لقد خلت هذه الملهاة من النزعة التشاؤمية لأن «موم» اهتم فيها بتصوير الواقع كما هو قبل أن يهتم بإبداء وجهة نظره وإقناع القارئ بها . . . وبذلك جاءت طبيعية صادقة لا

يختلف أشخاصها قيد أنملة عن الأشخاص الحقيقيين الذين نراهم على مسرح الحياة .

لقد اتبع «موم» فى تصوير أشخاص هذه الملهاة ووقائعها الاتجاه الواقعى البحت ، فعكس الواقع كما هو دون أن يفرض على النظارة آراءه الخاصة ، ودون أن يبتعد بفكره وخياله عن الحقائق الموضوعية ، أو يشتط فيفسد بحماسته بساطة الملهاة الطبيعية .

من الواضح أنه كتب هذه الملهاة بأعصاب هادئة ، وفكر مسلط بكليته على الواقع دون ما تأثر بأفكار مسبقة . وهذا هو ما جعلها تتسلسل كالجدول الصافى ، وتكتسى جوانبها بالزهر الخلاب ، ويظل متتبعها يتنقل من واقعة إلى أخرى فى هوادة ويسر حتى يصل إلى خاتمتها السعيدة المبهجة .

وبرغم أن «موم» لم يتوسع فى موضوع الملهاة ، بل حصره فى دائرة ملموسة محبوكة ، فقد استطاع أن ينفى عن النظارة السأم ، بل استطاع أن يشوقهم ويجدد نشاطهم الذهنى بحركة الملهاة الدائبة ، وبما ظل يبتدعه من مفاجآت لا تبهر فحسب ، ولكنها تخدم موضوع الملهاة ، وتزيد بناءها الفنى جمالا وإتقاناً .

والملهاة لا تخلو من موعظة غالية ، ولكنها ليست موعظة يحشرها المؤلف فى عمله الفنى ، بل موعظة الحياة نفسها . . والنظارة لا يتلقنونها من المؤلف كما يتلقن التلميذ الدرس .

ولكنهم يستخلصونها من الوقائع ، ولا يمكن أن يخطئوها . .

وهى تخدم الحياة لأنها تُبرز زيف الحب الحرام فى صدق وواقعية ، وتلفت النظارة إلى متعة الحب الحلال الصادق . . . فهى ملهاة اجتماعية تساعد على استقرار الحياة الزوجية . . . لقد جمعت بين جمال الشكل والمضمون ، ولعل اختيارها لنقلها إلى اللغة العربية يرجع على الأخص إلى هذا السبب .

محمد مفيد الشوباشى

أشخاص المسرحية

پينيلوپي
دكتور أوفاريل
الأستاذ جولايتلى
السيدة جولايتلى
مستر داڤنبورت بارلو
مسز فيرجسون
مستر بيدزوورث
السيدة واطسون
أحد المرضى
پيتون

زمن أحداث المسرحية ١٩٠٨

الفصل الأول

المنظر

غرفة استقبـــال بمنزل أسرة « أوفاريل » الكائن بشـــارع چون وهى مجهزة برياش بديعة ؛ ولكن فى غير إسراف . وأسرة أوفاريل مكونة من زوجين شابين دخلهما متواضع . . . والساعة بين السادسة والسابعة مساء .

تفتح پيتون البـــاب ؛ وهى خادم للاستقبال نظيفة الهندام ، وتقود مستر داڤنبورت بارلو إلى الغرفة .

وبارلو رجل قصير القامة ، معتد بنفسه ، فى متوسط العمر ، شديد الصلع ، أحمر الوجه ، ذو شارب صغير مفتول بعناية ، وهندام على أحدث طراز ، فى أسلوبه زهو واحتفال شديد بالتوافه . يتقدم إلى الغرفة وكأنه يتوقع أن يرى بها أحداً . وعند ما يجد الغرفة خالية يتوقف ، وينظر إلى پيتون ولا يستطيع أن يفهم السبب فى عدم وجود أحـــد لاستقباله .

بارلو : [بلهجة اندهاش] أليست السيدة أوفاريل موجودة ؟ !..

بيتون : لا يا سيدى .

بارلو : هـم.. م.. أيمكن أن تخبريها بحضورى؟

بيتون : السيدة أوفاريل ليست بالمنزل يا سيدى .

بارلو : ليست بالمنزل ؟... ولكن ...

بيتون : السيدة أوفاريل ترجوك أن تجلس وتستريح . وكلفتنى أن أناولك صحيفة المورننج پوست .

بارلو : [متشامخاً] لا أستطيع أن أتصور ما يدعو السيدة أوفاريل إلى الظن بأنى لم أقرأ صحيفة المورننج پوست الصباحية حتى السادسة مساء .

بيتون : [هادئة] وتسألك السيدة أوفاريل أترغب فى كأس من الويسكى والصودا يا سيدى؟

بارلو : ولكن متى تحضر السيدة أوفاريل ؟

بيتون : لا أعرف إطلاقاً يا سيدى .

بارلو : ولكنها أبرقت إلىّ بعد ظهر اليوم طالبة حضورى على الفور لمقابلتها .

بيتون : هذا صحيح يا سيدى. وأنا ذهبت بالبرقية إلى مكتب البريد بنفسى .

بارلو : إن خروجها فى هذه الحالة يبدو غريباً جداً . فالمسألة لها أهمية كبيرة .

بيتون : [فى أدب] نعم ياسيدى .

بارلو : حسناً . . . سأجلس وأنتظر ، ولكنى لا أستطيع أن أطيـــل بقائى ، فأنا سأتناول طعام العشاء عند ... لاأهمية لذلك

بيتون : حسناً ياسيدى . .

[تخرج بيتون . ويتوجه بارلو إلى مرآة بالغرفة . ويخرج من جيبه فرشاة صغيرة يمسح بها شاربه ... تعود بيتون وهى تحمل صينية صغيرة وزجاجة خمر ومصاً « سيفوناً » وكوباً]

بارلو : أوه ، شكراً . أقلتِ إن لديك صحيفة المورننج پوست ؟

بيتون : نعم ياسيدى . [تناوله الصحيفة]

بارلو : آه شكراً .

[تخرج بيتون ثانية . ويتناول بارلو كأساً من الوسكى والصودا . ويفتح صفحة « أنباء المجتمع » . ويأخذ فى قراءتها وعلى ثغره ابتسامة رضا عن النفس]

بارلو : [وكأنه يخاطب نفسه] عادت الدوقة سانت إيرث إلى ويلز أمس . ووصلت الماركيزة

ميريستون إلى المنزل رقم ٨٩ بميدان جروسڤينور ، وتسافر الماركيزة سيرلو والليدى إلينوركنج إلى باريس هذا الصباح .

[تدخل پيتون . . . وتتبعها السيدة جولايتلى . وهى متوسطة العمر ، بدينة إلى حد كبير ، دمثة الخلق ، دائبة الحركة ولكنها متلاحقة الأنفاس . ويظل الناظر إليها يحس كأنها ركضت إلى أعلا تل شديد الانحدار . وهى أخت داڤينبورت بارلو] .

پيتون : السيدة جولاتيلى .

بارلو : إيزابيل ! . .

السيدة جولايتلى : أأنت هنا يا دڤينپورت ؟ أين پينيلوپى ؟

بارلو : [وكأن ذلك أغرب شىء فى العالم] خرجت من المـــنزل .

السيدة جولايتلى : [مندهشة] خرجت ؟

[تلتفت إلى پيتون ، وتوجه إليها نظرة متسائلة]

پيتون : ترجو السيدة أوفاريل أن تتفضلى ياسيدتى فتجلسى وتستريحى . وقد كلفتنى أن أقدم إليك صحيفة « تشرتش تايمز »

بارلو : ولكن . . .

پيتون : [هادئة] وتسألك السيدة أوفاريل . أتريدين قدحاً من الشاى الثقيل ؟ . .

السيدة جولايتلى : يدهشنى أن تخرج السيدة أوفاريل ، فقد كانت تتوقع مجيئى .

پيتون : [تعطى صحيفة للسيدة جولايتلى] نعم يا سيدتى .

السيدة جولايتلى : [تأخذ الصحيفة] ما هذا ؟ ..

پيتون : صحيفة « تشرتش تايمز » يا سيدتى .

السيدة جولايتلى : [تنظر إلى بارلو نظرة تنم عن الغيظ] آه ، أشكرك ... أظننى أريد قدحاً من الشاى ... أرجوك ...

پيتون : حسناً يا سيدتى .

السيدة جولايتلى : عجباً لپينيلوپى ! لماذا تصر على أن أقرأ صحيفة « تشرتش تايمز » ؟

بارلو : لقد تسلمت الساعة برقية منها .

السيدة جولايتلى : كذلك تسلمت أنا منها برقية تطلب فيها حضورى على الفور [يلتمع فى ذهنها شعاع من نور] لعلنا نجد تفسيراً لذلك فى صحيفة « تشرتش تايمز » .

بارلو : هراء ... وما شأن صحيفة « تشرتش تايمز » بالأرشيدوقة أنا ستازيا ؟

السيدة جولايتلى : عم تتحدث يا عزيزى داڤينپورت ؟ ..

[تدخل پيتون لتعلن قدوم الأستاذ جولايتلى ، وتخرج بعد ذلك مباشرة . وجولايتلى رجل طويل نحيل ، أشيب الشعر ، نشط ، معتنى به ، أنيق منسق

الهندام ، تخاله محامياً أو طبيباً كما تخاله أستاذاً للرياضيات . ووجهه نظيف الحلاقة] .

بيتون : الأستاذ جولايتلى .

جولايتلى : أهــلا يا دافينپورت [يخاطب زوجته] يا عزيزتى ! أنت آخر من كنت أتوقع وجوده هنا . كنت أظن أن هناك اجتماعاً لجمعية المبشرين فى « ألبرت هول »

[تدخل بيتون وهى تحمل صينية محملة بآنية الشاى ، وكوبا من ماء الشعير، ونسخة من صحيفة أثينايوم] .

السيدة جولايتلى : آه ، أشكرك .

بيتون : [لجولايتلى] تسألك السيدة أوفاريل : هل لك فى تناول كوب من ماء الشعير ؟

جولايتلى : ماء شعير ! . .

بيتون : وكلفتنى أن أقدم لك مجلة أثينايوم ، ولكنها لم تجد عدد هذا الأسبوع يا سيدى. وهذا هو عدد الأسبوع الماضى ، والسيدة أوفاريــل ترجو أن يؤدى الغرض المطلوب .

جولايتلى : [وعلى ثغره ابتسامة خفيفة] إنه تلطف منك أن تجشمى نفسك هذا العناء .

بيتون : أشكرك يا سيدى . [تخرج]

جولايتلى : لست أدرى أى شىء فى الدنيا تريدنى پينيلوپى أن أصنع بعدد الأسبوع الماضى من مجلة أثينايوم ، وبكوب ماء من الشعير ؟

بارلو : أظنها تريد منك أن تشرب الكوب وتقرأ الصحيفة .

جولايتلى : [لزوجته] يا عزيزتى ، من المؤلم أن تنشّئ ابنتنا الوحيدة على الاعتقاد بأن شرابى المفضل هو ماء الشعير .

بارلو : يبدو أن پينيلوپى كانت تتوقع حضورك أنت أيضاً .

جولايتلى : إنى تسلمت الساعة برقية منها .

بارلو : حقاً ؟ . . لست أدرى أى شىء فى الدنيا يدعوها إلى الإبراق لك !

السيدة جولايتلى : إن من أغرب الأمور ألا تكون پينيلوپى هنا . فهذا يشعرنى بالقلق الشديد .

جولايتلى : بصراحة أنا لم أفهم من الأمر شيئاً. ومن ثم قفزت إلى سيارة وجئت من النادى فوراً .

[تدخل پيتون ومن ورائها بيدزوورث . وهو محام متوسط العمر دمث الخلق] .

بيتون : مستر بيدزوورث .

جولايتلى : علىّ اللعنة .

بارلو : يا عزيزى تشارلز ! وددت لو أنك لا تستعمل العبارات السوقية ، فقد بطل استعمالها فى طبقتنا .

بيدزوورث : [يصافح السيدة جولايتلى] إنى تسلمت الساعة برقية من بينيلوبى تسألنى فيها الحضور فوراً .[يلتفت إلى بيتون] أرجو أن تنبئ السيدة أوفاريل بقدومى.

جولايتلى : إنها غير موجودة بالمنزل .

بيتون : السيدة أوفاريل ترجوك أن تستريح يا سيدى . وإذا أردت قراءة صحيفة « لو تايمز » فلدينا نسخة منها . . . وهل ترغب فى كأس من البورت يا سيدى ؟ .

[يدور بيدزوورث ببصره فى الحاضرين حائراً]

جولايتلى : أطلبْ من فضلك كأساً من البورت أبادل بها كوب شراب الشعير .

بيدزوورث : [إلى بيتون] أشكرك ..

بيتون : [تناوله الصحيفة] حسناً ، ياسيدى. [تخرج]

پيدزوورث : ماذا عساها تريد منى أن أصنع بصحيفة « لو تايمز » ؟

جولايتلى : لقد سألت نفس السؤال عندما ناولتنى پيتون عدد الأسبوع الماضى من صحيفة أثينايوم ، وأجابنى داڤينپوت بفطنته التى يتميز بها : اقرأه .

بيدزوورث : أتستطيع أن تنبئنى بما تريده پينپلوپى ؟ ففى برقيتها إشارة إلى أنها تريد مقابلتى بصفتى الرسمية — بصفتى محامى الأسرة لا بصفتى صديقاً قديماً .

جولايتلى : ليست لدى أية فكرة . وقد خيل إلىّ أن برقيتها غامضة كل الغموض .

السيدة جولايتلى : بودى أن تحضر . فقد بدأ القلق الشديد يساورنى .

بارلو : [بشىء من الزهو] أظن أنى أستطيع أن أريح نفوسكم ، فإننى فى وضع يمكننى من إيضاح الأمـــر كله لكم ، فالبرقية التى أرسلتها إلىّ تزيل كل لبس . . . لعلكم تعرفون أن الأرشيدوقة أناستازيا تعالج عند ديكى . ومن التوفيق أن تكون له عميلة حسنة جداً مثلها . وأنا لم

أقابلها فى حياتى وإن كنت أعرف ، مصادفة ، عددا من أفراد أسرتها . وهى امرأة لطيفة واسعة الثقافة . وكنت على الدوام أقول لديكى إن هذا نوع العملاء الذين يجدر به أن يعالجهم ، فإن مرضى الطبقة المتوسطة لا يفيدون الطبيب فتيلا .

جولايتلى : ياعزيزى دافينپوت ، أرجو أن تواصل حكايتك .

بارلو : حسناً ، يبدو أن الأشيدوقة أناستازيا أبدت رغبتها فى التعرف إلى پينيلوپى . وهذا من جانبها صنيع لطيف جميل للغاية ، وهو ما ينتظر صدوره منها ، وهى بالطبع تقدر كل التقدير ما أداه لها ديكى من خدمات ، فقد كان علاجه لها معجزة من المعجزات . ولعلها سمعت أن پينيلوپى ابنة أختى . وهناك قول مأثور يمكن أن تتبعوه دائماً وهو « لا شىء يخفى على الأمراء » . ومجمل القول إن الأرشيدوقة ستحضر للغداء هنا . وپينيلوپى لا تعرف شيئاً عن هذه الأمور بالطبع ، لذلك أرسلت فى طلبى وهى فى حالة انفعال

شديد . وكان هذا خير ما يمكن أن تصنعه ، فأنا أستطيع أن أدلها على كل شيء ، إذ أنني عشت طوال عمرى بين هذه الطبقة . وليس فى ذلك شيء يدعو إلى التفاخر الشديد — فالمسألة مصادفة فى المولد ، فقد ولدت « جنتلمانا » . . . من أسرة ذات شأن ... حسناً ... هذا هو الأمر .

جولايتلى : ولكن أتقصد أن پينيلوپى ذكرت لك هذا كله فى برقيتها ؟ لا بد أن ذلك كلفها مبلغاً كبيراً .

بارلو : إنها وضعته بالطبع فى صيغة مختصرة ، ولكن هذا فحواه .

بيدزوورث : لست أتصور داعياً يدعوها إلى طلبى لمجرد أن إحدى أعضاء الأسرة المالكة ستحضر لتتناول الغداء معها . لقد شق على أن أغادر مكتبى وعشرات من الناس ينتظرون مقابلتى . واضطررت أن أتسلل من الباب الخلفى لأتحاشى الالتقاء بهم .

جولايتلى : ولكن ما هو نص البرقية التى أرسلتها پينيلوپى إليك يا دافينپورت ؟

بارلو : تستطيع الاطـلاع عليها إن أردت .
[يخرجها من جيبه ويقرأ] « تعال فوراً .
الأرشيدوقة أناستازيا . پينيلوپى » .
جولايتلى : أتقصد أن تقول إنك نسجت كل تلك
الحكاية من هذه الكلمات الثلاث ؟ ...
بارلو : پينيلوپى لم تجهل أنى على قدر من الفطنة ،
وهى لم تشأ أن تبعثر نقودها ، فضمنت
برقيتها الألفاظ الضرورية ، وتركت لى
استنتاج الباقى .
السيدة جولايتلى : ولكن برقيتى لم تشر إلى الأرشيدوقة
أنا ستازيا .
بارلو : وماذا قالت پينيلوپى فى برقيتها إليك ؟
السيدة جولايتلى : [تخرج البرقية] « تعالى حالا ! فضيحة
خطيرة ! بعثة وسط إفريقيا التبشيرية .
پينيلوپى » .
بارلو : ولكن هذا هراء . إنك تعلمين مبلغ غباء
مكتب البريد . فلا بد أن يكونوا قد
قد ارتكبوا خطأ ، إنى أعلم أن لأعضاء
الأسرة المالكة اليومرانية أطواراً غريبة ،
ولكن هناك حدوداً لايتخطونها ، ويستحيل
علىّ أن أتصور أن الأرشيدوقة أنا ستازيا

تورطت فى فضيحـــة مع أحد مـ ســلى الإرسالية الدينية لوسط إفريقيا .

بيد زوورث : ولكن برقيتى لم تتضمن إلاما يأتى : « تعال فوراً ، ستة شلنات وثمانية بنسات . پينيلوپى » .

بارلو : ستة شلنات ، وثمانية بنسات ! . لماذا ستة شلنات ، وثمانية بنسات ؟

بيد زوورث : لا أدرى . ولهذا لم أضع وقتاً فى المجىء .

جولايتلى : [وعينه تومض] يخيل إلىّ أن الأرشيدوقة أناستازيا هربت مع أحـــد المبشرين بدلا من أن تدفع لديكى أجر علاجه المعجز ، ولذلك تريد پينيلوپى ، مستعينة بالقانون ، [ويومئ إلى بيدزوورث] أن تحصل على النقود .

بارلو : هراء ! ... كم أنت غير عملىّ ياتشارلز !

السيدة جولايتلى : [لزوجها] ولكنك تلقيت برقية أنت أيضاً يا عزيزى .

جولايتلى : « تعال حالا . كسرعشرى ٧٠٣٥ پينيلوپى »

بارلو : ما أغرب هذا ! ...

[يفتح الباب بهدوء ، وتدلف پينيلوپى إلى الغرفة . وتنقضى هنيهة قبل أن يلحظ الآخرون

وجودها . . . وتقف ناظرة إليهم وهى تبتسم .
ثم يقع نظر جولايتلى عليها ، ويلتفت إليها سائر
الموجودين] .

جولايتلى : پينيلوپى .

سائر الموجودين : پينيلوپى .

پينيلوپى : [تتقدم وتقبل السيدة جولايتلى] مساء الخير
يا أمى !

بارلو : [بلهفة] خيرا ؟

پينيلوپى : خيرا يا أبى . [تمد له وجهها ليقبلها]

السيدة جولايتلى : [قلقة] والآن يا پينيلوپى .

پينيلوپى : أوه ، مستر بيدزوورث ، إنه فضل
منك أن تحضر ! [تصافحه] قبلنى يا خالى
داڤينپورت [ترفع له وجهها فى هدوء ،
فيقبلها بشىء من الغيظ] .

پينيلوپى : أشكرك . . . أكانت كأس الويسكى
والصودا التى قدمت إليك جيدة ؟
[ثم تدور بنظرها] والپورت ؟ . إنك لم
تلمس شراب الشعير يا أبى . يا لك من
كهل منكر للجميل .

السيدة جولايتلى : [مغيظة] يا عزيزتى ! . . بربك اشرحى
لنا الأمر .

بارلو : أين كنت طوال هذا الوقت ؟ .

پينيلوپى : كنت – كنت فى غرفة الاستشارة .
[وتبتسم ابتسامة خبيثة] كنت أرقبكم جميعاً
وأنتم تدخلون .

السيدة جولايتلى : [فى شىء من الاستياء] قالت لنا پيتون إنك
غير موجودة بالمنزل .

بارلو : أظن يا پينيلوپى أن سلوكك كان فى الحق
مشيناً .

پينيلوپى : اسمعوا . رأيت أننى إذا قابلت كلا منكم
بدوره سأضطر أن أكرر الضجة التى
سأثيرها أربع مرات بدلا من مرة واحدة .
ولو فعلت لأنهك ذلك قواى ، دون أن
يجدى كما تجدى مقابلتى لكم مجتمعين .

جولايتلى : أتنوين أن تثيرى ضجة ؟ . .

پينيلوپى : [فى غاية الرضى] سأثير ضجة مروّعة بعد
دقيقة .

السيدة جولايتلى : بحقك اخبرينا يا عزيزتى عما تقصدين
ببرقياتك قبل أن تزيدى كلمة .

پينيلوپى : اسمعى . كنت أريد أن تحضروا جميعكم
على الفور ، فرأيت خير وسيلة لتحقيق
ذلك أن أغريكم برغباتكم المسيطرة عليكم
فأضعها تحت أنوفكم .

السيدة جولايتلى : أفهمتَ يا تشارلز ما تقصده ؟ . .

بينيلوبى : المسألة فى غاية البساطة يا أمى العزيزة . إنك تنفقين حياتك فى محاولة هداية الوثنيين — عن بعد — ولم يغب عنى أنك ستحضرين طائرة على جناح الريح إذا ذكرت لك الإرسالية التبشيرية لوسط إفريقيا .

السيدة جولايتلى : الواقع أنى جئت راكبة الأومنيبوس . ولكن أتعنين أنه ليست هناك فضيحة متعلقة بالإرسالية التبشيرية لوسط إفريقيا ؟

بينيلوبى : [مبتسمة] يؤسفنى أشد الأسف أن أخيب أملك يا أمى .

جولايتلى : وماذا دعاك بحق السماء إلى كتابة « عشرى ٧٠٣٥ » فى البرقية التى أرسلتها إلىّ ؟

بينيلوبى : أوه ! إنه رقم تليفوننا . وكل مافعلته أننى كتبت كلمة « عشرى » بدلا من « چيرارد »

جولايتلى : لقد خطر لى أن الرقم مألوف لدىّ جداً .

بينيلوبى : هذه هى المسألة كما ترى

بارلو : [يضحك] أحسب أن الفكرة عظيمة . وقد قذفتك يا بيدزوورث بعبارة « ستة شلنات ، وثمانية بنسات » وهى موقنة بأنها ستجلب المحامى.

پينيلوپى : [لبيدزوورث] . أنت غير غاضب علىّ . أليس كذلك ؟ [يهز رأسه مبتسما]

بارلو : والآن يا عزيزتى بعـــد أن انتهيت منهم ، خبرينى عن كل ما يتعلق بالأرشيدوقة أناستازيا .

پينيلوپى : [بنظرة ساهمة] الأرشيـــدوقة أناستازيا ؟ ولكنى ابتدعتها .

بارلو : ماذا تعنين بقولك إنك ابتدعتها ؟ أنا أعرفها جيداً ، ومعرفتى بها ترجع إلى سنوات مضت . إنى أعرف أفراد أسرتها جميعها .

پينيلوپى : [مرتبكة بعض الشىء، ولكنها تحاول كتمان ضحكها] المسألة أنى — أنى أردت حضورك أنت أيضاً ، و . . .

بارلو : أنا لا أفهم ما تعنينه إطلاقاً يا پينيلوپى !.. تذكرين لى واحدة من أقرب صديقاتى ، ثم تقولين لى إنك ابتدعتها .

پينيلوپى : أنا آسفة أشد الأسف ... وفى الحق أنى لم أعلم بوجود مثل هـــذه السيدة . وقد ظننتنى ابتدعتها من فكرى . . . [وبضحكة مكتومة] أظن أنها كانت فكرة

بارعة أن أقع على شخص تعرفه مثل هذه المعرفة الوثيقة .

بارلو : لست أدرى لماذا تظنين أن مجرد ذكر اسم الأرشيدوقة يحملنى على الحضور .

پينيلوپى : حسناً . المسألة أنى أعلم عنك الولع بحضور الحفلات ، ومعرفتك العدد الكثير من الناس . ولذلك تيقنت أنه إذا تصادف وكانت هنـــاك سيدة باسم الأرشيدوقة أنا ستازيا ، فأنت لا بد تعرفها [ثم بإشارة من يدها] والآن هذه هى المسألة كما ترى .

[بارلو يتقد غيظاً ، ولكنه لا يجيب]

السيدة جولايتلى : والآن يا پينيلوپى عليك أن تخبرينا عن حقيقة ماتريدين .

پينيلوپى : [بلهجة من يقرر الواقع] أريد الطلاق من ديكى .

السيدة جولايتلى : ماذا !..

جولايتلى : يا بنيّتى العزيزة .

بارلو : يا لطيف !

[يقولون هذه العبارات الثلاث فى وقت واحد]

پينيلوپى : [بحسرة] كنت أريد أن أحدث ضجـــة كبرى ، ولكنكم حملتمونى على التعجل بإفشاء سرى كله فى أربع كلمات .

السيدة جولايتلى : ولكنى لا أفهم .

پينيلوپى : سأكرر القول ... أأكرره ؟.. أريد الطلاق من ديكى .

بيد زوورث : أنت لا تعنين ذلك حقا ، أليس كذلك ؟

پينيلوپى : [حانقة] بل أعنيه بالطبع . إنى لن أكلم ديكى طوال عمرى.. أقصد أنني سأتشاجر معه شجاراً عنيفاً أولا . إنى مصممة كل التصميم على الشجار.. مع شخص ما .

جولايتلى : وأين ديكى الآن ؟ ...

پينيلوپى : فى طريقه إلى المنزل وبجعبته نفس الحجة [يتهدج صوتها فجأة] آه لو تعلمون كم أنا شقية ! . .

السيدة جولايتلى : يا عزيزتى ، هل الأمر خطير حقاً ؟

پينيلوپى : [فى قنوط] ماذا أستطيع أن أفعل لأفهمكم الأمر ؟

جولايتلى : خير ماتفعلين أن تبدئى من البـــداية ، وتخبرينا عما وقع كله بترتيب وترابط .

بارلو : [مزهواً بنفسه] ياعزيزى تشارلز ، هذه المسألة ليست من نوع المسائل التى يكون لرأيك فيها أدنى فائدة . فأنت عالم فى الرياضيات ، ولا ينتظر من مثلك الإلمام بشئ من الأمور العملية .

جولايتلى : [بسخرية خفيفة] أعتذر بشدة .

السيدة جولايتلى : [متجهة إلى پينيلوپى تسألها أن تفصح] تكلمى يا حبيبتى !

پينيلوپى : حسناً . أنا أولاً هائمة بحب ديكى ، فإنى لم أحب غيره فيما مضى ، ولن أحب غيره فى المستقبل .

بيدزوورث : هذا اعتراف مرض جداً بعد زواج دام أربع سنوات .

پينيلوپى : خمس سنوات وثلاثة أشهر ويومين . ولم يمر يوم من هذه المدة دون أن يزداد حبى لديكى .

بيدزوورث : لم أر زوجين يخلص كل منهما للآخر أكثر من هذا الإخلاص .

پينيلوپى : نحن لم نتشاحن قط . بل ولم يغضب أحدنا على الآخر فى يوم من الأيام . كانت حياتنا الزوجية شهر عسل لا ينقضى .

السيدة جولايتلى : وماذا بعد ؟

پينيلوپى : ولكنى اكتشفت أنه كان يكذب علىّ خلال الشهر الأخير . كان لايعود كل ليلة إلا فى ساعة متأخرة جداً . فإذا سألته أين كان ، أجابنى بأنه اضطر إلى عيادة

مريض ألح عليه الداء — وأنها حالة هامة جدا — وأن ذلك أقلقه إلى حد أنه اضطر إلى الذهاب لناديه ولعب دوراً من « البريدج » ليستعيد هدوء أعصابه . . . وليست حالة المريض الهامة ، ودور « البريدج » إلا « أدا فيرجسون »

بارلو : [مزهواً] ولكن ، من هى أدا فيرجسون ؟ أنا لم أسمع عنها قط .

پينيلوپى : أدا فيرجسون من أقرب صديقاتى إلىّ . وأنا أمقتها . . . كنت أعرف دائماً أنها قطة . وقد اعتاد ديكى خلال الأسابيع الأربعة الأخيرة أن يقضى معها بعد ظهر كل يوم من الساعة الرابعة إلى السابعة .

جولايتلى : [يرفع حاجبيه] ولكن ، أمن عادتك دائماً أن تسألى زوجك عند ما يعود إلى الدار أين كان ؟

پينيلوپى : [نافدة الصبر] يا أبى العزيز ، ما العلاقة بين سؤالك وما نحن فيه ؟ إننا نقر جميعا بأنك إنسان لطيف ، وأنك أعظم أفذاذ العالم فى الرياضيات ؛ ولكنك لا تعلم عن الحياة شيئاً .

جولايتلى : أعتذر مرة أخرى .

السيدة جولايتلى : أعطيه ورقة وقلماً يا پينيلوپى ليلهى نفسه ببعض المسائل الحسابية بينما نناقش نحن المسألة.

پينيلوپى : [تدفع إلى أبيها أدوات كتابية] ها هى ذى يا أبى .

بيدزوورث : ولكن كيف وقفت على هذا الأمر ؟

پينيلوپى : [متضجرة] أية أهمية لكيفية وقوفى عليه . إن كل البراهين متوفرة لدى .

السيدة جولايتلى : حسبى أن أسمع أقلها ، فإنك تستطيعين أن تصرعينى بريشة .

جولايتلى : [مبتسما] ياعزيزتى !

بارلو : إن الأمر لا يدهشنى بحال .

پينيلوپى : يا خالى داڤينپورث !

بارلو : لقد توقعت ذلك دائماً . فأنت تذكرين يا إيزابيل أنى عارضت فى ذلك الزواج منذ البداية . وقد قلت إنه من الخير للمرأة ألاّ تتزوج بطبيب ، فالواحد منا يقابل الأطباء أحياناً فى المجتمع بعد ما تصقلهم الأيام قليلا ، أو ربما بعد فوزهم بالألقاب والرتب العالية ، ولكننا لا نقابل زوجاتهم أبداً . ونحن نفترض أنهم

يتزوجون ، ولكنهم لا يتزوجون بأحد ممن نعرفهم . وقد أكون رجعياً ، ولكنى متمسك برأيى ، وهو أنه ليس أمام « الجنتلمان » إلاّ مهنة من مهن ثلاث — القضاء ، والجيش ، والكنيسة .

پينيلوپى : يا خالى العزيز داڤينپورت ! إنك تقول هراء .

بارلو : [مستاء] لقد سألتنى الرأى وأنا لم أضنّ عليك به . ويؤسفنى أن تجدى قولى هراء.

بيدزوورث : وماذا تقترحين عمله الآن ؟

پينيلوپى : [بتصميم أكيد] لن أعيش وديكى تحت سقف واحد أبداً . وسأغادر هذا المنزل إلى غير رجعة على أثر مقابلته .

بيدزوورث : أفى نيتك أن تبادليه بضع كلمات ؟

پينيلوپى : بل كلمات كثيرة ... سأقول له إنى أزدريه ... وأمقته ... وسألقىَ بخاتم الزواج فى وجهه ، ثم أخرج شامخة الرأس من الغرفة .

بيدزوورث : هل استقر رأيك فعلا على ألا تغفرى له؟

پينيلوپى : ما كان يحملنى شىء فى العالم على مخاطبته

ثانية لولا رغبتى فى مصـــارحته برأيى الصحيح فيه .

بارلو : ثم إن لك أسرة يجب أن تفكرى فيها .. لا بد من أن تهجريه بالطبع ... إن رأيى كما تعلمين هو أن المرء لاينعم بالأمان مع أناس لا محتـــد لهم . وإنى أنظر إلى كل ما حدث على أنه نعمة خفيت طى نقمة .

بيدزوورث : أترغبين فى رفع دعوى انفصال قانونى ؟

پينيلوپى : يا عزيزى السيـــد بيدزوورث ، عم تتحدث ؟ ... إنى سأطلقه . سأفضحه فضيحة مشينة .

بيدزوورث : حسناً . سنستطيع عند الحاجة أن ندبر ذلك بمعونة الصحافة .. هل قسا عليك فى يوم من الأيام ؟

پينيلوپى : لا بحق السموات ! وهذا هو ما يؤجج غضبى . ولقد كان خلال الشهر الماضى أظرف وألطف مما كان عليه فى أى وقت مضى . أوه ، بودى لو أستطيع أن أفعل بأدا فيرجسون شيئاً يضايقها حقا .... شيئاً يكويها كيًّا .

السيدة جولايتلى : لقد صدمت ... صدمت صراحة . فما

كان يخطر ببالى قط أن يكون ديكى شريراً إلى هذا الحد .

بارلو : إن حياة الأسرة فى إنجلترا سائرة فى طريق البوار . هذه هى الحقيقة باختصار

[تلمح پينيلوپى فجأة ما كان جولايتلى منهمكا فى كتابته ، فتلقى على الورقة نظرة مرتاعة ، ثم تدور بنظرها] .

پينيلوپى : أمى ؛ لقد حدث أمر مرعب .. لقد جن أبى فجأة !

السيدة جولايتلى : ماذا تقولين يا عزيزتى ؟ !

پينيلوپى : طفق يجمع « واحداً » و « واحداً » مرات ومرات فى الورقة كلها ، وجعل ناتج جمع الرقمين فى كل مرة « ثلاثة » .

السيدة جولايتلى : تشارلز !

[پينيلوپى تناول بارلو الورقة]

پينيلوپى : انظر .

بارلو : ١ + ١ = ٣ ..... ١ + ١ = ٣

[ثم يناول الورقة بدوره إلى بيدزوورث]

بيدزوورث : ١ + ١ = ٣ ..... ١ + ١ = ٣

بارلو : كنت على يقين من أن ذلك سيحدث . وقد توقعته منذ سنوات .

السيدة جولايتلى : اضبط أعصابك يا تشارلز !

پينيلوپى : أبى ! أتعتقد حقاً أن ١ + ١ = ٣ ؟

جولايتلى : بالعكس فأنا مقتنع بأن ١ + ١ = ٢

پينيلوپى : أى شئ فى الدنيا حملك إذن على جعل جمعهما ثلاثة ؟

جولايتلى : أتعرفين لماذا تشترين صابون پيرز ؟

پينيلوپى : أظنك قد أنهكت نفسك فى العمل الشاق يا أبى العزيز . لماذا لا تذهب وترقد نصف ساعة ؟ وعندما يحضر ديكى يعطيك دواء مقوياً .

جولايتلى : أنت تشترين صابون پيرز لأنك قرأت على الملصقات خمسين ألف مرة إنه لا يبارى فى تحسين البشرة .

پينيلوپى : هذا ليس مضحكاً يا أبى ولكنه سخيف .

جولايتلى : ما عليك إلا أن تكررى أى شئ بمقدار كاف حتى يؤمن به العالم جميعه ، وإذا آمن به العالم يصعب جدا الحكم بصدقه أو كذبه .

پينيلوپى : وما علاقة هذا بحاصل جمع واحد وواحد ؟

جولايتلى : ظننت أنى إذا كتبت أن ١ + ١ = ٣ وكررت ذلك بما فيه الكفاية ، قد ينتهى

ذلك إلى اقتناعى بصدقه .

پينياوپى : ولكنك إذا كررت كتابة هذه العمليــة مليون مرة لن تقترب بها إلى الصدق قيد أنملة

جولايتلى : هذه هى النتيجة التى أرانى مع الأسف مضطراً إلى التسليم بها

پينيلوپى : وبعد ؟

جولايتلى : ليست الحياة بأسرها إلا مسألة جمع واحد وواحد ، ثم استخلاص الجواب الصحيح .

بارلو : يا عزيزى تشارلز . لا داعى لبقائى إذا كنت ستناقش مسألة الحياة ، ظللت عشرين عاماً أقول لك إنك عالم وزاهد اعتزل الدنيا . أما أنا فقــد عشت فى معتركها ، وأنا رجل عملى — وإذا شاءت پينيلوپى أن تستشيرنى ، فأنا رهن إشارتها ، وإلا . . .

پينيلوپى : لا تتكلم يا خالى داڤينپورت .

بارلو : أحقاً يا پينيلوپى ؟

جولايتلى : لاحظت عليك خلال السنوات الخمس الأخيرة أنك تجمعين واحداً وواحداً وتجعلين حاصل جمعهما زهاء تسع وسبعين .

السيدة جولايتلى : لست أدرى عمّ تتحدث يا تشارلز . . .
إن سلوك ديكى مشين ، وليس له عذر
فيما فعـــل . والمسألة ليست إلا مسألة
الأخلاق العامة .

جولايتلى : يا عزيزتى ! أنا لا أعترض على تحدثك
حديث الأخلاق العامة بشرط أن تدعينى
أتحدث حديث الإدراك العام .

السيدة جولايتلى : يا عزيزى تشارلز ! كلاهما واحد .

پينيلوپى : إذا ظننت أنك ستحملنى على العفو عن
ذنب ديكى لمجرد قولك لى إنك كنت
أيضاً آثماً أيام صباك ، فإنى أجيبك
على الفور بأن هذا اعتذار فاشل .

السيدة جولايتلى : [ثائرة] عم تتحدثين يا عزيزتى ؟

پينيلوپى : حسناً . لقد لاحظت أن المرأة إذا اكتشفت
خيانة زوجها لهـــا ، حاول أقرباؤها
الذكور دائماً أن يواسوها بقولهم إنهم
هم أيضاً عاملوا زوجاتهم معاملة مشينة .

چولايتلى : يا عزيزتى ، أنا لم أكن أنوى الاعتراف
بشىء من هذا القبيل ... أنا لا أعترف
أبدا ...

پينيلوپى : بالطبـــع ، ولو أن الأمر قد اختلف ،

وكانت أمى هى التى جمحت قليلا ..

السيدة جولايتلى : عزيزتى ! أترينني أستطيع القيـــام بحركة بهلوانية من هذا النوع ؟

پينيلوپى : أكمل كلامك يا أبى

جولايتلى : أعتقد أنك عاملت ديكى معاملة مخزية .

پينيلوپى : [فى دهشة] أنا ؟

جولايتلى : لو أن أمك سلكت معى مسلكك مع ديكى لأدمنت الشراب لا محالة .

پينيلوپى : ولكنى كنت معه ملا كا مبرأ من كل عيب ... لم أقبل إلا أن أعبد الأرض التى يمشى عليها ، لقد أحببته حبا لم ينعم بمثله رجل من قبل .

جولايتلى : ما من رجل يحتمل ذلك .

پينيلوپى : ماذا تقصد يا أبى ؟ ..

جولايتلى : يا عزيزتى : إنك أحببته صباحاً وظهراً ومساء ... أحببته متحدثاً ، وأحببته صامتاً ... أحببته إذ يمشى ، وأحببته إذ يأكل ، وأحببته إذ يغط فى نومه . لقد استحال عليه أن يهرب من حبك .

پينيلوپى : ولكن لم يكن لى يد فى هذا .

جولايتلى : لم يكن باك حاجة إلى إظهاره .

پينيلوپى ، أتعنى أن هذا يبرر عبثه مع أدا فيرجسون؟

جولايتلى : بل يتيح له العذر .

پينيلوپى : لا بد أن يكون الرجال وحوشاً إذن !

جولايتلى : كلا ، فهم أناسىّ ، وإن كان ذلك يبدو لك غريباً . إنك كنت مغرمة بالفراولة المثلجة فى طفولتك .

پينيلوپى : ولا زلت مغرمة بها إلى الآن .

جولايتلى : أتودين أن تتناوليها فى كل يوم طعاماً للإفطار والغداء والعشاء خلال شهر بأكمله ؟

پينيلوپى : يا للسماء ! إن الفكرة تخيفنى .

جولايتلى : عاش ديكى المسكين على الفراولة المثلجة خمس سنوات . وكان هذا قوام حياته الوحيد .

پينيلوپى : [مذعورة] أوه !

جولايتلى : أنت لم تدعيه يغادر المنزل دون أن تدخلى الردهة لتضعى قبعته على رأسه ، وتحييه بقبلة توديع . وهو لا يعود إلى المنزل دون أن تنزلى إليه راكضة ، وتساعديه على خلع معطفه وتحييه بقبلة ترحيب . وقد رأيتك تجلسين فوق مسند كرسيه ، وتطوقين عنقه

وهو جالس فى الصباح بعد تناول إفطاره ليقرأ صحيفته ويدخن غليونه .

بارلو : [مستنكراً] پينيلوپى !

پينيلوپى : أتظن أن ذلك كان فظيعاً جداً ؟

بارلو : يا بنيتى العزيزة !

پينيلوپى : [إلى بيدزوورث] ألم تجلس السيدة بيدزوورث قط على مسند مقعدك وأنت تدخن غليونك ؟

بيدزوورث : لا بد أن أعترف بأنى مدين لزوجتى بالشكر ، لأنها كانت تنفق هذا الوقت فى العناية بشئونها المنزلية .

پينيلوپى : يا لكم من قوم مزعجين . طلبت إليكم الحضور لتشاركونى فى شعورى ، فإذا أنتم تقسون علىّ قسوة وحشية .

بارلو : لكل شئ حدود يا عزيزتى پينيلوپى .

پينيلوپى : على أى حال لا يهمنى . وسأطلقه .

جولايتلى : لنحسب حسبة بسيطة أخرى . . . هل تسمحين ؟ فلعل جمع واحد وواحد ينتج اثنين هذه المرة .

پينيلوپى : لست أرانى مغتبطة بكونى ابنة عالم فى الرياضيات .

جولايتلى : ألا ترين أنه من الأفضل اكتساب حب زوجك من جديد بدل الطلاق منه ؟

پينيلوپى : أنا لا أرغب فى حبه .

جولايتلى : [مبتسما] أواثقة أنت من أنك ترفضين حبه فيما إذا استطعت أن تحصلى عليه ؟

[تنظر پينيلوپى إلى أبيها لحظة ثم تتوجه إليه مسرعة]

پينيلوپى : [وفى صوتها دموع] أبى ، أتظننى أستطيع يوماً أن أستعيد حبه ؟ أنت تقول إنى فقدت حبه بخطئى . أوه ، لست أدرى ماذا أصنع بدونه ! لقد أصبحت تعيسة جداً مذ علمت بالأمر . ولكم بذلت من جهد لأهون منه ، ولكن ليتك تعلم ما أشعر بهِ فى سويداء قلبى ... أوه ، لم لم يكتم هؤلاء المتوحشون الأمر عنى ؟

بارلو : يا عزيزتى پينيلوپى . كنت أتوقع أن أجدك أكثر كبرياء . إنه رجل لا أصل له . وقد ظننت أنك نعمت بالخلاص منه .

پينيلوپى : يا خالى داڤينپورت ، إذا مسسته بكلمة سأصاب فوراً بنوبة هستيرية .

بارلو : لست أدرى أى نصيحة تنتظرين من أبيك

جولايتلى : (مبتسما) . من فم الأطفال والرضّع

يا دافينپورت(*).

بارلو	: لم يخطر ببالى أن أحداً يستطيع نعتك بالطفل أو الرضيع . . . ولكنى لا أستطيع البقاء أكثر من ذلك على أية حال .
پينيلوپى	: أوه ، لا تخرج الآن يا خالى دافينپورت.
بارلو	: يبدو أن نصيحتى غير مرغوب فيها . ثم إنى وعدت الليدى هولينجتون العزيزة أن أزورها قبل العشاء .
پينيلوپى	: بربك اعتذر تليفونياً عن الذهاب إليها . وستجد التليفون فى غرفة الجلوس .
بارلو	: [يهز كتفيه] إنى شديد التساهل . والناس لا يقدروننى حق قدرى . [يخرج]
پينيلوپى	: أبى ! قل إنك ستعيد إلىّ ديكى . إنى أريده . إنى أريده .
جولايتلى	: الأمر فى منتهى البساطة ياعزيزتى . وكل ما فيه أنه يحتاج إلى قدر كبير من اللباقة وقدر كبير من الشجاعة ، وقدر كبير من ضبط النفس .
پينيلوپى	: [ساخرة] ألا يحتاج إلى شىء آخر أيضاً ؟

(*) إشارة إلى قول المسيح « من أفواه الأطفال والرضع هيأت تسبيحاً » (انجيل متى ٢١ : ١٦) .

جولايتلى : يحتاج إلى الكثير . يجب ألا يفلت زمامك من يدك ، ويجب أن تراقبي لسانك وعينيك وابتساماتك ــ وطبعك .

پينيلوپى : أظنك قلت لى إن الأمر فى منتهى البساطة .

جولايتلى : هل أدا فيرجسون جميلة ؟

پينيلوپى : لا . فهى بشعة جدا .

جولايتلى : أهى كذلك ؟ هذا يجعــل الأمر أشد خطورة .

پينيلوپى : لماذا ؟

جولايتلى : إذا وقع الرجل فى حب امرأة جميلة زهدها . أما إذا وقع فى حب امرأة قبيحة فإن حبه لها سيبقى ما بقى هو حيا .

پينيلوپى : لقد أزحت عبئاً عن صدرى . فأدا فيرجسون جذابة جدا .

جولايتلى : ستتمكنين إذن من استعادته .

پينيلوپى : خبرنى بالضبط عما يجب اتّباعه ، وسأتبعه .

جولايتلى : أعيديه إلى رشده .

پينيلوپى : أهذا كل ما فى الأمر ؟

جولايتلى : هذا يعنى الشىء الكثير . لا تتشاجرى معه عند عودته ، ولكن كونى ظريفة

معه . ولا تسأليه هذه المرة أين كان ولو
لمرة . وإذا خرج لا تسأليه إلى أين ،
ولا فى أية ساعة سيعود . ولا تجعليه
يعلم أنه يخامرك أقل شك فى أن شيئاً ما
قد حـــدث . بل على العكس انتهزى
كل فرصة لتدفعيــه إلى الاجتماع بأدا
فيرجسون .

السيدة جولايتلى : تشارلز ! .. أنت تطلب إلى پينيلوپى أن
تتستر على الفساد .

جولايتلى : إذا أزيلت كل عقبة من طريق ديكى
وجد أن نصف لذة هذا الغرام الذى يخفيه
قد ضاعت . وعندذاك تكونين كسبت
نصف المعركة . وعليك أن تتركى الباقى
للزمن ولأدا فيرجسون . . . دعى أدا
فيرجسون تجلس على مسند مقعده حينما
يريد قراءة صحيفته . ودعيه يعلل تحركاته
كلها لأدا فيرجسون . إن المرأة فى ظروف
كهذه تستبد بها الشكوك دائماً ، ولهذا
فهى ترهق الرجل دائماً . فإذا انقطع
الحديث برهة ستسأله أدا فيرجسون أتحبنى
اليوم مثلما كنت تحبنى دائماً ؟ وهذا القول

ليس إلا الحبل الذى يلتف حول عنق الحب ليخنقه وإذا أراد ديكى أن ينصرف ستتوسل إليه أدا فيرجسون أن يبقى خمس دقائق أخرى . وهـــذه الدقائق الخمس التى يمكثها الرجل رغم أنفه هى المسمار الذى يدق فى نعش الحب ... وفى كل مرة يهمّ ديكى بالانصراف ستقول له أدا فيرجسون : متّى ستعود ؟ وهذا السؤال هو التّراب الذى يهال على قبر الحب .

[وفى أثناء ذلك كله تشخص پينيلوپى إلى جولايتلى مذهولة]

پينيلوپى : أين تعلمت هذا كله يا أبى ؟

جولايتلى : [يهز كتفيه هزة استنكار] المسألة ليست إلا جمع واحد وواحد يا عزيزتى .

پينيلوپى : لم أكن أعلم أن الرياضة طريفة إلى هذا الحد . . وفاجرة إلى هذا الحد !

جولايتلى : وما رأيك فيما قلت ؟

پينيلوپى : ولكن حتى إذا أقلع ديكى عن حب أدا فيرجسون فليس هناك ما يدعو إلى وقوعه فى حبى من جديد .

جولايتلى : يجب أن تحمليه على ذلك .

پينيلوپى : وددت لو أعلم كيف .

جولايتلى : الأمر لا يتطلب إلاّ بعض المزيد من اللباقة ، وبعض المزيد من الشجاعة ، وبعض المزيد من ضبط النفس .

پينيلوپى : ولكنى إذا اكتسبت هذه الوفرة من الفضائل أصبحت هولة لا امرأة . وكيف يهوانى فى هذه الحالة ؟

بيدزوورث : [من جانب النافذة] هنـــاك سيارة تقف بالباب .

پينيلوپى : أنصتوا . . . إنى أسمع صوت مفتاح يدور . لا بد أنه ديكى .

بيدزوورث : ماذا تنوين أن تصنعى ؟

پينيلوپى : [مترددة] ما رأيك يا أمى ؟

السيدة جولايتلى : يا عزيزتى . إنى أعارض فكرة أبيك بشـــدة ، ولا أتصور كيف خطرت له ببال . ولكن لا يسعنى إلا القول بأن فيها شيئاً من سلامة الإدراك .

پينيلوپى : [مستقرة على رأى] سأحاول ... تذكروا أن أحداً منكم لا يعرف شيئاً عما حدث... وأنت ستظاهريننى يا أمى ، أليس كذلك ؟

السيدة جولايتلى : إنك لن تطلبى منى أن أدلى بسلسلة من الأكاذيب يا عزيزتى ؟

پينيلوپى : الأكاذيب البيض فقط يا أمى . وإذا لم يكن بد من كذبة كبرى فسأقولها أنا نفسى .

بيدزوورث : ولكن ، ماذا سيكون موقف بارلو ؟

جولايتلى : إنه رجل خبير بالحياة ! .. وسيدس أنفه فى الأمر دون مراء .

پينيلوپى : أنا كفيلة به .

[يدخل بارلو]

پينيلوپى : آه .

بارلو : لم أستطع الاتصال بها . لست أدرى ماذا جرى لعاملات التليفون هؤلاء . .. يا لهن من فاجرات !

پينيلوپى : يا عمى داڤينپورت ، وجدت أنى أخطأت فى حق ديكى تماماً . فهوغير ملوم فى شىء

بارلو : يا إلهى الرحيم ! .. وأدا فيرجسون ؟

پينيلوپى : لا أشك فى أنها ليست أسوأ من أى امرأة غيرها .

بارلو : هذه مفاجأة. ولكن بربك كيف وصلت إلى هذه النتيجة ؟

پينيلوپى : بجمع واحد وواحد ... *

بارلو : يا للعجب ! لا بد أن أقول إن اضطرارى إلى الإخلال بموعد هام لغير سبب أمر يغيظنى . كنت أظن ...

پينيلوپى : [تقاطعه] يا خالى داڤينپورت ، إنه لما يسوء حقا أن اضطر إلى التخلى عن الضجة التى نويت القيام بها . أما إذا كنت تنوى أنت القيام بها ، فهذا فوق ما أحتمل .

بيدزوورث : ما دمت لا أستطيع أن أقدم معونة جديدة فمن الخير أن أعود إلى أحضان أسرتى .

پينيلوپى : بالطبع أنا أعد زيارتك هذه زيارة مهنية

بيدزوورث : أوه ، هراء !

پينيلوپى : لم يخطر لى ببال أن أقبل خدماتك دون مقابل . أرجوك أن تذكر المبلغ الذى أنا مدينة لك به

بيدزوورث : الحق أنى لا أدرى ماذا أقول .

پينيلوپى : ديكى يتقاضى جنيها وشلنا عن كل زيارة لمريض .

بيدزوورث : ولكنك لم تذكرى فى برقيتك إلا ستة شلنات وثمانية بنسات .

پينيلوپى : حسناً . أنا مدينة لك بهذا المبلغ . وهذا

في الحق يجعلني أشعر بأنني أكثر راحة .

بيدزوورث : إنك لن تسلميني المبلغ الآن نقداً ؟

پينيلوپي : لم يخطر لي أن أدفعه لك . ولكن يطيب لي أن أتصور أني مدينة لك به . وفي هذه الحالة لن أشعر بأني مطوقة بأي جميل .

بيدزوورث : إذا كان الأمر كذلك فأنا أذعن للأمر. إلى اللقاء .

پينيلوپي : إلى اللقاء .

بارلو : إلى اللقاء يا بيدزوورث . لا بد أن تأتي إلى النادي يوماً لتتناول الغداء معي.

بيدزوورث : يسرني ذلك . إلى اللقاء [يخرج]

بارلو : رجل ظريف جداً ... «جنتلمان» بحق ... فما من أحد يتصور أنه محام .. سأدعوه لتناول الغداء مع واحد أو اثنين ممن لا يبالون الفوارق الطبقية .

پينيلوپي : ها هوذا ديكي. أتسمعونه يصفر ؟ يبدو جليا أنه في غاية الانشراح .

[يدخل ديكي . وهو رجل عليه سيماء أصحاب المهن الحرة ،حسن المظهر، أنيق الملبس ، في نحو الخامسة والثلاثين من عمره ،شديد المرح ، فكه الطبع إلى حد بعيد . ونادراً ما يخرجه شيء عن بشاشته . وفي أسلوبه ظرف يفسر شغف پينيلوپي به]

ديكى : هالو . لم أفهم ماذا جرى لك يا پين ؟

پينيلوپى : لماذا ؟

ديكى : كنت تنزلين عادة لاستقبالى عند حضورى

[تصدر حركة خفيفة من پينيلوپى ، وتدارى ابتسامة] .

پينيلوپى : أمى التقية موجودة .

ديكى : [جذلا] ليس هذا سببا يدعوك إلى إهمال زوج مخلص [يصافح السيدة جولايتلى] كيف حال أملك التقية ؟ ... هالو ياخالى داڤينپورث ، ما ثمن الدوقات فى السوق اليو م ؟

بارلو : أستميحك عذراً ، لست أدرى ماذا تقصد .

ديكى : [يدور بلحظه فى القنانى والأكواب المبعثرة فى الحجرة] قولوا الحق ، ألم تكونوا تنعشون أنفسكم ؟ من كان يشرب اليورت ؟

پينيلوپى : لا أحد . إنها كأس فارغة .

ديكى : هكذا تتصرف الأقدار معى . فهى تضع المغريات متعمدة فى طريقى . الخمر ليست إلا سمًّا لى ، فداء المفاصل وراثى فى أسرتى كما تعلمون ، وقد عاش أجدادى مائة عام

على نبـــات السورنجان : وإنى لأشعر بوخز أليم فى أصابع قدمى لمجرد رؤية زجاجة من البورت . وبرغم ذلك أتناوله .

[يملأ لنفسه كأساً ويرشفها فى لذة كبيرة]

بارلو : من الخطأ الجسيم طبعاً أن تخال داء المفاصل دليلا على شرف المحتد ، فإن بواب نادىّ من شهداء هذا الداء .

ديكى : قد يكون ابناً غير شرعىّ لأحـــد الأشراف . عليك أن تسأله عما إذا كانت كتفه اليسرى مدموغة بشارة الشليك ... ماذا بك يا پين ؟

پينيلوپى : [متعجبة] بى أنا ؟

ديكى : خيل إلىّ أنك مبتئسة قليلا .

پينيلوپى : لماذا ؟

ديكى : لست أدرى . فأنت لا تبدين على حالتك الطبيعية تماما . أليس كذلك ؟ فأنت لم تسأليني عما كنت أفعله اليوم . والقاعدة أنك تهتمين بتحركاتى كل الاهتمام .

پينيلوپى : [وهى ترمق أباها بنظرة] ظننتك ستخبرنى بهذه التحركات لو شئت .

ديكى : أظن أن هذا كثير ، فأنا أكِـدّ كالعبيد خارج الدار لأوفر لك سيارة ، وملابس وأشياء أنيقة، بينما لاتهتمين أنت أقل اهتمام بما أفعل .

پينيلوپى : [مبتسمة] حسنا . ماذا كنت تصنع بعد ظهر اليوم ؟

ديكى : [يتنفس الصعداء] أوه ، كان يومى يوما عصيباً . وأنا مشغول هذه الأيام بحالة هامة جدا تستغرق منى وقتاً طويلا ، وهى تقلقنى بعض القلق بالطبع ، ولكنى إخال مثل هذه الأمور تعرض لنا فى عملنا اليومى . على أى حال أنفقت هناك مايقرب من ساعة .

پينيلوپى : ساعة ؟

ديكى : نعم . كنا نتشاور فى مرضها كما تعلمين .

پينيلوپى : ولكنكم كنتم تتشاورون فى مرضها أمس .

ديكى : أمس ؟ .. نعم ، إنها عجوز تغالى فى الاهتمام بنفسها ، وتطلب الاستشارات دائماً .

پينيلوپى : هذا مبهج ، أليس كذلك ؟

ديكى : أنا لاأظنه كذلك. إذ يبدو أنهالاتثق بى حقا .

پينيلوپى : ولكنك تستطيع أن تطلب ضعف الأجر. أليس كذلك ؟

ديكى : نعم ، بالطبع . إن للمسألة هذه الميزة .

پينيلوپى : كنت أتوق منـــذ مدة طويلة إلى شراء كاب من الإرمين ، وسأشتريه الآن .

ديكى : [يظهر عليه الابتئاس] أوه ، ولكنى لم أتقاض أجرى بعد .

پينيلوپى : سيسرّ البائع أن ينتظر . وهى صفقة رابحة .

ديكى : [لتغيير الحديث] حسناً . ولقد شعرت بعد الاستشارة بأننى مرهق إلى حد اضطرنى أن أقصد النادى لألعب دوراً من البريدج.

جولايتلى : على فكرة ، ما اسم مريضتك ؟

ديكى : اسم مريضتى ؟

پينيلوپى : أوه ، نعم . فقد كنت أقول لأبى إنك تعالج مريضة جديدة تكسب من علاجها كنزاً من المال ، ولم أستطع تذكر اسمها .

ديكى : [مرتبكا] أوه — إ . . . . ، السيدة ماك...

پينيلوپى : السيدة ماك ماذا ؟

ديكى : السيدة ما كفقط .

بارلو : السيدة ما كفقط ؟ ماذا تعنى ؟ أنا لم أسمع قط عن أسرة باسم ما كفقط .

ديكى : لا ، بالطبع . فاسمها ليس ما كفقط .

بارلو : ولكنك قلت ما كفقط فى وضوح .

ديكى : يا عزيزتى پين ، أذكرت أنا شيئاً عن ما كفقط ؟

پينيلوپى : حسناً ، ما اسمها إذن ؟

ديكى : لى عشر دقائق أقول لك إن اسمها السيدة ماك .

بارلو : ولماذا لم تقل هذا بربك فوراً ؟

جولايتلى : وكيف عثرت على هذه العميلة السخية ؟

ديكى : أوه . كان ذلك توفيقاً كبيراً . . . وقد حدثتهـا عنى صديقتك الصغيرة تلك يا پين ... ما اسمها ؟

جولايتلى : يبدو أن ذا كرتك قاصرة عن حفظ الأسماء كل القصور يا ديكى . وعليك أن تعقد منديلك ،لتتذكر .

ديكى : هى صديقة پين . [يتظاهر بأنه يحاول التذكر ويتذكر] زوجها فى البحرية ، ومقره فى مالطة . أليس هو كذلك ؟

پينيلوپى : أدا فيرجسون .

ديكى : هى بعينها ، بالطبع . السيدة فيرجسون .

بارلو : أظنها من أسرة فيرجسون أوف كينجارث .

ديكى : ليس لى أى علم بذلك . إنما خيل إلىّ أنها امرأة لطيفة ضئيلة الجسم . ولكن لا بد أن أصارحكم بأنها لم تثر اهتمامى كثيراً .

[تدخل پيتون لتعلن قدوم السيدة فيرجسون . وهى امرأة جميلة متألقة فى نحو الثلاثين من سنيها]

پيتون : السيدة فيرجسون .

[يمتلئ ديكى ذعراً . تخرج بيتون . وتمر لحظة قصيرة يسود فيها الارتباك . ولكن سرعان ما تتمالك بينيلوپى نفسها ، وتتجه إلى الزائرة مظهرة شدة الترحيب]

پينيلوپى : كيف حالك ؟

السيدة فيرجسون : أهو وقت غير مناسب للزيارة ؟

پينيلوپى : لا ، بالطبع . يسرنى دائماً أن أراك .

السيدة فيرجسون : قضيت ساعات العصر بأكملها فى التسوّق . ثم خطر لى فجأة أنى لم أرك منذ عهد بعيد.

پينيلوپى : أتعرفين أمى التقية ؟

السيدة فيرجسون : كيف حالك ؟

پينيلوپى : وهذا أبى النبيل . وهذا خالى .

بارلو : كيف حالك ؟

[يبدو واضحاً أن السيدة فيرجسون قد استهوته كثيراً] .

السيدة فيرجسون : [تلتفت بلطف إلى ديكى] ألم تنسنى ؟
ديكى : لا بالطبع .
السيدة فيرجسون : نحن لم نتقابل منذ دهور ، أليس كذلك ؟
ديكى : أجل ، منذ دهور .
السيدة فيرجسون : مررت بجانبك فى «پيكاديلى» منذ أيام ، فتجاهلتنى تماماً .
ديكى : آسف كل الأسف . فنظرى شديد القصر .
پينيلوپى : إنك لست قصير النظر بحال ياديكى ، فكيف تستطيع تلفيق أكاذيب كهذه ؟
بارلو : [بكياسة متعالية] يشعر ديكى أن الحائل المادىّ هو العذر الوحيد الذى يمكن أن يبرر عدم التفات الرجل إلى امرأة جميلة .
السيدة فيرجسون : أوه إنه لكرم منك أن تقول هذا .
بارلو : أبداً ، أبداً .
پينيلوپى : أردت شكرك على أنك جئت لديكى بهذه العميلة الطيبة .
ديكى : [بعجلة ، وقد رأى نظرة الدهشة على وجه السيدة فيرجسون] كنت الساعة أحدث زوجتى عن السيدة ماك .
السيدة فيرجسون : [دون أن تفهم شيئاً] أوه ، نعم .
ديكى : كان كرما منك حقاً أن تشيرى عليها

باستدعائى لعلاجها . وقد ذهبت لأعودها بعد ظهر اليوم .

السيدة فيرجسون : [مدركة الأمر] أوه ، نعم ، فأنا أحب أن أبذل جهدى فى معاونة الناس . وآمل أن تجدها عميلة لطيفة .

پينيلوپى : يبدو أنها فى حاجة إلى زيارات كثيرة .

السيدة فيرجسون : نعم ، وكانت تحدثنى منذ أيام فقط عن إعجابها الشديد بالدكتور أوفاريل ، وأخشى أن يكون مرض العزيزة المسكينة شديد الوطأة .

ديكى : أقول لك الحق ، إن حالتها تقلقنى كثيراً .

السيدة فيرجسون : من بواعث العزاء لأصدقائها جميعا علمهم أن الدكترر أوفاريل يتولى علاجها

بارلو : إنى لأتساءل أهى من أسرة ماك فى ستافورد شاير أم من أسرة مـاك فى سومرستشاير ؟

ديكى : لاعلم لى بذلك قط .

بارلو : ماذا تعنى بقولك هذا ؟ لابد أن تكون مريضتك من هذه الأسرة أو تلك .

پينيلوپى : ما شكلها ؟

ديكي : أوه ، لست أدرى . أظن أنها كغيرها من الناس .

پينيلوپي : لاتكن أبله يا ديكي . فأنت تعلم دون ريب أهي بدينة أم نحيلة .

ديكي : [ناظراً إلى السيدة فيرجسون] أراها سمينة أليس كذلك ؟

السيدة فيرجسون : مفرطة السمنة .

پينيلوپي : أهي كذلك ؟

ديكي : وشعرها أشيب

السيدة فيرجسون : وكله جدائل لولبية صغيرة .

ديكي : [ضاحكا] نعم . ولست أدرى كيف تصنعها

السيدة فيرجسون : ولها عينان زرقاوان بديعتان ، أليس كذلك ؟

ديكي : نعم . عينان زرقاوان بديعتان .

پينيلوپي : وما اسمها الأول ؟

ديكي : لست أدرى كلية .

السيدة فيرجسون : [فى سرعة] كاترين .

پينيلوپي : كاترين ماك ؟ إنها صديقتك القديمة ياأمى ، كاترين ماك ... يالها من مصادفة غريبة !

جولايتلى : كاترين ماك . أى نعم ، بالطبع إنى أتذكرها جيداً . الجدائل الشيباء اللولبية

الصغيرة ، والعينانالزرقاوان البديعتان .

پينيلوپى : ألا يسرّها أن تعودها أمى ؟

ديكى : أخشى أنها لاتستطيع حتى الآن لقاء أحد .

جولايتلى : لابد أن تخبرها أننا آسفون جداً لمرضها

ديكى : أى نعم . سأبلغها أية رسالة تريدونها .

السيدة جولايتلى : [فى شىء من الجفاء وهى تقوم] أظن أنه ينبغى علىّ الانصراف . أتأتى معى ياتشارلز ؟

جولايتلى : نعم ، ياعزيزتى .

پينيلوپى : مع السلامة يا أمى العزيزة .

[يتحدثون جانباً بينما ترتدى السيدة جولايتلى معطفها . ويتركون ديكى منفرداً فى الواقع بالسيدة فيرجسون] .

ديكى : [بصوت منخفض] خبرينى ماذا جاء بك إلى هنا الآن ؟

السيدة فيرجسون : إنك لم تخبرنى عن الميعاد الذى أقابلك فيه غداً .

ديكى : عجباً . كنت تستطيعين مخاطبتى تليفونيا

السيدة فيرجسون : أوه ، أنا لا أأتمن التليفون أبداً

ديكى : ماذا تعنين بأنك لاتأتمنين التليفون ؟ هل تعودت أن ...

السيدة فيرجسون : ديكى !

ديكى : عفواً . أنا لم أقصد ذلك .

السيدة فيرجسون: بالله ماذا دعاك إلى اختلاق هذه الحكاية السخيفة عن السيدة ماك ؟

ديكي : أنا لم أختلقها . ولكنها اختلقت نفسها . فقد اضطررت إلى تعليل تنقلاتى.

السيدة فيرجسون: أتعنى بقولك هذا أن زوجتك تسألك أين كنت وإلى أين تذهب؟ ما أشبه هذا بخلق المرأة ! [فى براءة] وعلى فكرة ، كيف ستقضى هذه السهرة ؟

ديكي : [مغتبطاً] أوه . سأتناول طعام العشاء مع پينيلوپى فى مطعم كارلتون ، ثم سنذهب إلى إحدى قاعات الموسيقى .

[يأتى بارلو صوبهما]

بارلو : إلى اللقاء يا سيدة فيرجسون .

السيدة فيرجسون: [مظهرة شدة العاطفة] إلى اللقاء .

بارلو : [إلى بينيلوبى وهو يصافحها] إمرأةرائعةحقاً.

پينيلوپى : [تتظاهر بالغضب] يا خالى داڤينپورت !

بارلو : إلى اللقاء يا عزيزتى. إنها سيدة مجتمع حقاً.

[يخرج بارلو والسيدة جولايتلى]

جولايتلى : [وهو يتبعهما] هل هدأت نفسك ؟

پينيلوپى نعم . دعنى أدبر الأمر . لقــد بدأت أتبين طريقى .

جولايتلى [وعلى ثغره ابتسامة] لاحظت ذلك .

[يخرج جولايتلى]

السيدة فيرجسون خالك رجل ظريف يا پينيلوپى ، رجل ممتاز حقاً .

پينيلوپى إنك غزوت قلبه ، وقد قال لى عنك إنك إمرأة رائعة جداً .

السيدة فيرجسون حقاً ؟ يقول الرجال عنى غالباً إننى إمرأة كلها أنوثة .

پينيلوپى لعل القولين يؤديان إلى نفس المعنى .

السيدة فيرجسون ولكن لا بد من انصرافى أنا أيضاً فوراً . فالواقع أنه لم يخطر ببالى أن الوقت متأخر إلى هذا الحد .

پينيلوپى أ أنت مشغولة الليلة ؟

السيدة فيرجسون أوه ، لا . فأنا أعيش فى هدوء تام ، ولا أجد شيئاً أمتع من قضاء سهرة بمفردى ، .. مع كتاب .

پينيلوپى كنت فيما مضى شديدة الولع بالحفلات .

السيدة فيرجسون أنا أعلم أن زوجى يؤثر اعتكافى فى المنزل . وعند ما أفكر فيه وهو يخدم وطنه بشجاعة فى بلد غريب لا يطاوعنى قلبى على اللهو .

پينيلوپى يا للطبع الفاتن !.

السيدة فيرجسون : (إلى ديكى) إن زوجى رجل عسكرى ومقر عمله فى مالطه كما تعلم . ومن المؤلم حقاً أن صحتى تضطرنى إلى البقاء فى إنجلترا .

پينيلوپى : ترى أيمكن أن تؤدى لى معروفاً كبيراً ؟

السيدة فيرجسون : يا عزيزتى ، أنا على استعداد دائماً لأداء أية خدمة لصديقة قديمة .

پينيلوپى : الواقع أنى عانيت صداعاً مزعجاً طوال هذا المساء .

ديكى : [منتصراً] لقد أدركت ساعة مجيئى أن بك شيئاً .

پينيلوپى : ان لدينـــا مقعدين محجوزين الليلة فى إحدى القاعات الموسيقية . فإذا ذهبت إلى الحفلة مع ديكى بدلا عنى كان ذلك فضلا كبيراً منك .

[تدور نظرة تفاهم بين ديكى والسيدة فيرجسون]

السيدة فيرجسون : أنا ؟

پينيلوپى : ديكى يكره الخروج بمفرده ، وأنا فى الواقع لا أستطيع حراكاً . إنكما تستطيعان أن تتناولا معاً أكلة صغيرة شهية فى أحد المطاعم ، ثم تذهبان إلى الحفل .

ديكى : أواثقة أنت من عدم قدرتك على الذهاب يا پين ؟

پينيلوپى : لا جدال فى هذا قط .

السيدة فيرجسون ألاتظنين أن الأجدر بالدكتورأوفاريل أن يبقى للعناية بأمرك ؟

پينيلوپى أوه ، لا ! فإن الخروج يفيده ، لقد اجهد نفسه فى العمل كل الإجهاد ، واشترك بعد الظهر فى استشارة طبية استغرقت ما يقرب من ساعة .

السيدة فيرجسون [لديكى] أتريدنى أن أذهب معك ؟

ديكى أحب ذلك إذا كان لا يضايقك .

السيدة فيرجسون إذن سيبهجنى أن أصحبك .

پينيلوپى أشكرك كل الشكر . ولكن الوقت تأخر جداً ، وأظن أنه يجدر بكما الخروج فى الحال .

ديكى أأنت واثقة يا پينيلوپى من أن تركى لك وحدك لا يضايقك ؟

پينيلوپى أؤكد لك ذلك .

ديكى حسنا . انتظرى دقيقة واحدة وسأعد لك جرعة من دواء .

پينيلوپى [بسرعة] أوه ، لا . أؤكد لك أنى أغدو

أحسن حالا بدون الدواء .

ديكى : هراء . لابد لى بالطبع من أن أعطيك دواء . [يخرج]

السيدة فيرجسون : هذه هى فائدة وجود طبيب فى الأسرة

پينيلوپى : [بغضب] نعم إنها فائدة جلى .

السيدة فيرجسون : أنا فى الحق أحسدك على وجود زوجك إلى جانبك . وكلما فكرت فى زوجى يخدم وطنه فى شجاعة — وأنت تعلمين أنى لم أذهب إلى طبيب إلا وأنبأنى بأن سفرى إليه يعرضنى لخطر كبير .

[يحضر ديكى ومعه كوب طبى مملوء بسائل فى لون اللبن] .

ديكى : هاهوذا الدواء .

پينيلوپى : أوه ، لا ياديكى . فأنا أفضل ألاأتناوله .

ديكى : لاتكونى بلهاء ياعزيزتى . فلاشىء يشد قواك مثل هذا الدواء .

السيدة فيرجسون : رأيى أن ترقد .

پينيلوپى : لا . وأظن أنى أفضل الوقوف إذا لم يكن عندك مانع .

ديكى : إنك غير معقولة أبداً . والآن ارقدى فوق هذا المتكأ .

پينيلوپى : سأفعل إذا لم يكن من ذلك بد .[ترقد فوق المتكأ المستطيل]

السيدة فيرجسون : لا بد أن نوفر لك الراحة قبل خروجنا .

ديكى : لنضع جميع الوسائد خلف ظهرها . أهذا حسن ؟

پينيلوپى : نعم ، أشكرك

ديكى : يا للصغيرة المسكينة .

السيدة فيرجسون : لا شك أنها تحتاج إلى غطاء فوق رجليها .

ديكى : لنضع هذه (البطانية) على قدميها ... هاهى.

: والآن خذى الدواء ... هوذا ...

پينيلوپى : أوه ، لا يا ديكى . سأتجرعه بعد خروجكما . سأتجرعه حقاً . إنى أعدك بذلك.

ديكى : وأى شىء بالله يحول دون تجرعه الآن ؟

پينيلوپى : الواقع أنى أكره أن أعبس بوجهى أمامكما .

ديكى : ولكنى كثيراً ما رأيتك تعبسين .

پينيلوپى : نعم . أعبس لك . هذا شىء آخر .

ديكى : والآن تجرعيه كما تفعل الفتاة الطيبة .

پينيلوپى : بعد انصرافكما .

السيدة فيرجسون: [مصممة كل التصميم] لن أتحرك من هذه الغرفة إلا بعد أن تتجرعيه .

پينيلوپى : [مستسلمة] أعطنيه . أمسك أنفى يا ديكى [تبلع الدواء وتعبس] أوه ، ليتنى لم أتزوجك

يا ديكى .

ديكى : سيجعلك تشعرين كالحصان .

پينيلوپى : ولكنى لا أريد أن اشعر بأنى كالحصان .

السيدة فيرجسون: إلى اللقاء . يؤسفنى أن أراك موعوكة .

ديكى : إلى اللقاء يا عزيزتى .

پينيلوپى : آمل أن تقضيا أمتع وقت .

[يخرج ديكى والسيدة فيرجسون . وتهب بينيلوبى واقفة ، وتلقى بالوسائد جانباً فى غضب . وتخطو خطوة أو خطوتين صوب الباب كأنها تهم بأن تستدعيهما . ثم تتوقف] .

پينيلوپى : لا ، لن أفعل ذلك . لن أفعل ذلك .

[وتعود على مهل ، ثم تتهالك على المقعد وتنفجر باكية] .

انتهى الفصل الأول

الفصل الثانى

المنظر

غرفة عيادة الدكتور أوفاريل . وهى موئثثة برياش مريحة ، وحوائطها معلق عليها صور محفورة ، وصورٌ «فوتوغرافية» فى أُطر فضية ؛ . . وفوق المدفأة أزهار وبأحد جوانبها مكتب كبير عليه صحف وكتب ومصباح كهربى ، وله كرسى دوار لجلوس ديكى ، وفى الناحية المقابلة للمكتب كرسى آخر لجلوس المرضى . وعلى منضدة جانبية ميكروسكوب وحامل لأنابيب الاختبار ، وزجاجة دواء أو زجاجتان ، وصف من زجاجات كبيرة مملوءة بمواد كيميائية ، ومصباح كهربى . وبالغرفة أيضاً متكأ ؛ بغير مساند معد لرقاد المرضى ، فضلا عن كرسى أو كرسين . وعلى الرفوف كتب طبية .

وفوق منضدة صغيرة مجموعة من مجلة « دى لانسيت »
ديكى جالس إلى مكتبه ، وسماعته الطبية ما زالت عالقة بأذنيه، وأحد المرضى واقف يزرر حمالة سراويله، ويرتدى صداره وسترته أثناء مجرى الحديث . والرجل قصير حيّ جدا ، أصلع الرأس ، ذو عوينات ذهبية ... شديد العصبية كثير الاعتذار .

ديكى : سأكتب لك الآن تذكرة الدواء ، هل تسمح ؟

المريض : أوه ، هذا تفضل كبير منك ، وأخشى أن أكون قد أزعجتك إزعاجاً شديداً .

ديكى : لا ، أبداً . والآن أى دواء تريد أن أصفه لك ؟

المريض : [شديد الارتباك] أوه ، كما تشاء ، من فضلك ، هذا تفضل كبير منك .

ديكى : ليس بك مرض ذو بال .

المريض : أوه ، كم أنا متأسف ! . إننى حقاً ، حقاً . . . .

ديكى : كنت أظنك أولى أن تسر .

المريض : [معتذرا] نعم ، بالطبع . أنا مسرور جداً . ولم أكن أقصد ذلك . . . إنى شغلت كثيرا من وقتك .

ديكى : أنا لا أكسب رزقى إلا من الذين لا يعانون شيئاً ذا بال . أما المرضى فإمّا يشفون وينصرفون عنى ، وإمّا يموتون ، وبهذا تنتهى صلتى بهم .

المريض : نعم ، أدرك ذلك . ولكنه لم يخطر لى ببال قط . . . إنه ليوم بديع ، أليس كذلك ؟

ديكى : هلاّ جلست ؟

المريض : أوه . إنه تفضل كبير منك . أشكرك . أشكرك ، أخشى أن أكون قد شغلت قدراً كبيراً من وقتك .

ديكى : أنا أُجلس عملائى دائما فى الناحية المقابلة من مكتبى منذ أن رأى أحدهم فجأة أفعى تزحف علىّ ، فانقض على عنقى لينقذنى من لسعها،وكاد فى انقضاضه علىّ أن يخنقنى . وعندما جثوت على صدره اتهمنى بأنى شيطان جاحد للجميل ، وقال إنه لن يتعرض للأفاعى إذا زحفت علىّ ثانيـــة .

المريض : [شديد الانفعال] أوه ، ولكنك لا تظن أنى أتهددك أى تهديد بالانقضاض على عنقك ، أليس كذلك ؟

ديكى : [يطلق ضحكة] لا ، بالطبع .

المريض : أنا لا أشرب شيئاً وقت الغداء . وأشرب النبيذ الأحمر والماء مع العشاء .

ديكى : أحسبك لا تظن أنك حصلت على مقابل لمالك إذا لم أصف لك دواء ؟

المريض : آه ، إنه تفضل كبير منك . ولكنى أرى أن تصف لى شيئاً إرضاء لزوجتى .

ديكى : حسناً ، انظر . فى تذكرة الدواء شىء من « الستريكنين » لتقويتك ،وشىء من « البزموت » لتهدئة أعصابك، اشرب هذا الدواء ثلاث مرات بعد الأكل يومياً . ،

المريض : أوه ، أشكرك شكرا جزيلا . أنا واثق من أن هذا ما أحتاج إليه بالذات . والآن – إ .... والآن – إ ....

[يقف وقد غلبه الارتباك الشديد]

ديكى : أظن أنه لم يبق شىء أستطيع أن أصنعه لك .

المريض : لا ، إ .. إ .. – أشكرك شكرا جزيلا .

أنا – ..!.. إنه تفضل كبير منك أن تتعب نفسك كل هذا التعب. نعم، إ ....

ديكي : [يفهم قصده] أوه . . . أجرى جنيهان وشلنان .

المريض : [يحس بفرح لا حد له] أوه ، شكرا جزيلا. هذا هو ما أردت السؤال عنه بالذات . أأكتب لك شيكاً ؟

ديكي : نحن نفضل دائماً أن نتقاضى الأجر نقداً مخافة أن يكون الشيك زائفاً .

المريض : أوه ، بالطبع . هذا تفضل كبير منك . حسبت أنك ربما لا تريد الأجر نقداً .

ديكي : إنه لمن العجب أن يضطرب الناس حين ينقدون الطبيب أجره . ليتكم تعلمون كم يكون سروره بتسلمه .

المريض : نعم . شكرا جزيلا .

[يخرج المريض جنيهين وشلنين من جيبه ، ويضعهما مضطرباً على ظهر المدفأة]

ديكي : سحقاً يا رجل . لا تضعهما على ظهر المدفأة ... إن لكل شيء حداً .

المريض : أوه ، أستميحك عذرا . كم أنا متأسف .

ديكي : نحن نؤثر دائماً وضع الأجر على المكتب.

المريض : أنا لم أعتد استشارة الأطباء فى عياداتهم .

ديكى : هذا واضح . وإلا لأعطيتنى جنيهين فقط ، وقلت إنك لم تجد معك شلنين... لاسيما إذا كنت امرأة .

المريض : هذا عجيب ؟ إنه لم يخطر ببالى قط .

ديكى : أشكرك . حسناً ، طبت مساء .

المريض : طبت مساء ، وشكراً جزيلا . إنه يوم بديع ، أليس كذلك ؟ طبت مساء .

[يسير به ديكى إلى الباب ، ويشيعه للخارج . وعند الباب يقع نظره على جولايتلى]

ديكى : هالوا ! ادخل من فضلك ؟ [ينظر لأعلى وينادى] پين ، هوذا أبوك الكريم .

[يدخل جولايتلى]

جولايتلى : كنت على وشك الصعود للقاء پين .

ديكى : تعال اجلس هنا ، ولندخن معا قليلا .

جولايتلى : ألا تتوقع مجئ بعض المرضى ؟

ديكى : أوه ، نحن الآن فى الخامسة ، ولا أعتقد أن مريضاً آخر سيحضر . ونستطيع أن نتناول الشاى هنا تحت .

جولايتلى : كيف تسير الأمور ؟

ديكى : الحال سيئة . انظر ، جنيهان وشلنان يتيمان

هذا كل دخلى هذا المساء .

[تدخل بينيلوبى]

پينيلوپى : حسناً ، يا أبى ؟

جولايتلى : قبلى أباك الكريم يا بنيتى ... أنت ترتدين ثوباً جديداً .

پينيلوپى : إنه يعجبنى . ألايعجبك ؟

ديكى : أهو رداء جديد آخر يا پين ؟ .

پينيلوپى : نعم ياعزيزى . ولم السؤال ؟

ديكى : أوه ، لاشئ .

پينيلوپى : لا بد لزوجة طبيب عصرى أن تنفق قدراً كبيراً من المال على ثيابها .

جولايتلى : كان ديكى يشكو من سوء حالة العمل .

ديكى : ماذا تتوقعون فى مثل هذا الجو اللعين ؟ فاليوم يمر تلو اليوم صحوا جافا بارداً . ولم نكابد الضباب ولو مرة هذا الخريف ، وهذا لا يتيح للطبيب أية فرصة . ففى مثل هذا الجو يكون الناس كلهم بالطبع أصحاء ، وأحوال الأطباء تزداد سوءاً . فالمجارى النظيفة متوفرة للجميع اليوم ، والحكومة المتملقة للشعب تمد الناس بالماء النقى . ولولا الأدوية الخاصة المسجلة

ومرضى الوهم لهلك نصف أطباء لندن جوعاً .

پينيلوپى : لاتقلق بالك ياديكى . فقد يقع حادث لسيارة أمام بيتنا بالذات فى يوم من الأيام.

ديكى : قد يكون حظى بالذات أن يهلك جميع من يصيبهم الحادث ، لا ، فالدى أريده حقا هو انتشار وباء خطير حقاً ، انتشار نوع من الأنفلونزا المعقدة التى يرقد لها المريض على ظهره زهاء شهر كامل مثلا .

پينيلوپى : وإذا أصبت أنا بها فرضاً ؟

ديكى : حسنا ، إذا أصبت بها كان على الرذل المقيم فى الناحية المقابلة من الشارع أن يعالجك . ولن يستطيع أن يتقاضى من زوجة طبيب أجراً . وسيصرف بأسنانه أسفاً على الوقت الذى اضطر إلى إنفاقه سدى .

پينيلوپى : الرذل المقيم فى الجانب المقابل من الشارع هو الدكتور روجرز . وهو يعجبنى أكثر من ديكى .

ديكى : إنه حمار منتفخ الأوداج .

پينيلوپى : إنه له طريقة لطيفة حانية على المريض .

ديكى : إنك لم تجربى قط طريقتى الحانية [ينظر إلى يديه] ولكن علىّ أن أذهب وأغسل يدى ، فهما ملوثتان بحمض (البكريك) .

[يخرج]

پينيلوپى : أين أمى ؟ أهى مشغولة بهداية الوثنيين؟

جولايتلى : نعم ، تهديهم من ألبرت هول ... على مسافة مأمونة .

پينيلوپى : [يتغير أسلوبها] لقد سرنى أنك جئت وحدك

جولايتلى : أهناك شىء يزعجك ؟

پينيلوپى : [منفجرة] لا أستطيع المضى فى هذا أكثر مما مضيت ، فقد استنفدت آخر ما أملك من قوة .

جولايتلى : ألا يزال ديكى ... ؟

پينيلوپى : نعم ، وعبثاً حاولت أن أتصور ما يجده فيها . فأنا أجلس أحياناً وأرقبها ، وأتساءل متعجبة عما تتحلى به من دونى ! ! إنك لا ترانى قبيحة ، أليس كذلك ؟

جولايتلى : لا ، قطعاً . وإلا لتركتكَ فى العراء يوم مولدك كما كان الإسپرطيون القدامى يفعلون

بينيلوبى : كم من رجال يودون أن يصارحونى بأنى خلابة جداً .

جولايتلى : لماذا لا تدعينهم يقولون ذلك ؟

بينيلوبى : يا أبى العزيز ، إنك أشد الآباء الذين قابلتهم تنكراً لقواعد الأخلاق .

جولايتلى : [مستنكراً بهزة كتف خفيفة] قد تكون هذه سياسة .

بينيلوبى : [وهى تهز رأسها] لا ، لست أدرى إذا كنت سأتمكن إطلاقاً من استرجاع ديكى إلىّ ثانية ، ولكنى لا أريد أن أسترجعه بإثارة غيرته . أنا لا أريد حبه إذا كنت لا أستطيع الحصول عليه إلا بإيهامه أن رجالا آخرين يهيمون بى .

جولايتلى : تذكرى أن حاصل جمع واحد وواحد لا يكون ثلاثة أبداً .

بينيلوبى : [نافدة الصبر] من السهل أن تنصح غيرك . فما عليك فى هذه الحالة إلا أن تجلس وترقب . أما أنا فعلىّ أن أعمل شيئاً ... وأسوأ ما فى الأمر أن عملَ شىءٍ فى هذه الحالة يعنى عمل لا شىء .

جولايتلى : يا عزيزتى .

پينيلوپى : والآن لا تتظاهر يا أبى بأنك غير فاهم ، وإلا قذفت رأسك بشئ ما . ولم يكن الأمر يسوء إلى هذا الحد لو أنى استطعت أن أنهض وأعمل . ولكن المطلوب منى لا يعدو أن أجلس وأتمالك جأشى . إنك لا تستطيع أن تتصور ما كابدته خلال هذا الشهر وأنا محتفظة بوجه باسم . فقد ضحكت وقلبى يوجعنى ، ومازحت ديكى وأنا أعلم أنه ذاهب للقاء أدا فيرجسون ، ورتبت حفلات صغيرة لأجمع بينهما . ولم أجرؤ حتى على البكاء وأنا منفردة خشية أن ترى أدا فيرجسون احمرار جفونى فتخبر ديكى بذلك . إنه كان يذهب إليها كل يوم . كان يلقاها كل يوم ، كل يوم بلا استثناء خلال الشهر الأخير . وكنت أنا طوال تلك المدة أبدو جذلة لطيفة مسلية .

جولايتلى : ولكن كيف يستطيع أن يجد الوقت ؟

پينيلوپى : أهمل عمله بالطبع . فكان يرسل مساعده لعيادة المرضى الذين كان يجب أن يعودهم بنفسه . إنك تذكر السيدة ماك ، أليس كذلك؟

جولايتلى : [مبتسما] السيدة ماك المزعومة ؟ نعم .

پينيلوپى : ليتك تعلم كم كرهت السيدة ماك ! كانت تُجرى لها جراحات بمعدل جراحة كل أسبوع . ويخرج ديكى فى سيارته ، ويغيب طول النهار .

جولايتلى : لا بد أن تكون لها بُنْية الحية البواء .

پينيلوپى : والمدهش فى الأمر أن جراحتها تُجرى دائما فى يوم من أيام سباق الخيل ، فقد أجريت لها جراحة يوم أقيم سباق « ديوك أوف يورك » فى كيمپتون ، وأجريت لها أخرى يوم سباق سنزاروتش ، وثالثة يوم سباق ساندوون .

جولايتلى : ما أغرب هذا .

پينيلوپى : لن تستغربه حين تعلم أن أدا فيرجسون تعشق سباق الخيل . والذى يثير نى أشد ثورة هو يقينى من أن «ديكى» يدفع لها رهانها ، فإذا فاز جوادها استولت على الربح ، وإذا تخلف لم تدفع الرهان .

جولايتلى : يخيل إلى أن هذا تصرف دنئ جداً . ولكن ماذا يحملك على الظن بأنها تفعل هذا ؟

پينيلوپى : أنا نفسى أفعله . . . مسكين ديكى ،

سيكلفه الأمر مبلغاً جسيماً هذا الشهر .

جولايتلى : لماذا ؟

پينيلوپى : لأنه كلما قضى نهـاره خارج المنزل اضطررت إلى مواساة نفسى بشراء شئ من الأشياء ، واخترت فى العادة شيئا غالياً نوعاً ما .

جولايتلى : لست أذكر أنى أشرت بهذه النصيحـة علاجاً للزوج المتقلّب .

پينيلوپى : لا . فأنا أضفتها من نفسى .

جولايتلى : ولكن لماذا طلبت حضورى اليوم ؟

پينيلوپى : لأن النهاية حانت . فأنا لم أعد أستطيع الاحتمال بعد الآن . لقد أخبرنى ديكى هذا الصباح أن صحة السيدة ماك تحسنت إلى حد يتيح نقلها إلى مكان آخر ، وأنه سيرحل بها إلى باريس ليعينها على ركوب قطار الريڤيرا .

جولايتلى : أقصدك أن تقولى إنّ ...

پينيلوپى : [وهى تهز كتفيها فى غضب] ترغب أدا فيرجسون فى رحلة قصيرة إلى باريس .

جولايتلى : وماذا تنوين أن تصنعى ؟

پينيلوپى : سأقول له إن عليه اختيار واحدة منا نحن الإثنتين . وسأبذل كل ما أستطيع

لأحـــول دون سفره ... أنا أنوى أن أخبره بأنه إذا سافر انتهى الأمر بيننا .

جولايتلى : أوه !

پينيلوپى : لا تقل أوه ! بل قل إنى مصيبـــة كل الصواب . قل إن هذا هو الشىء الوحيد الذى ينبغى عمله .

جولايتلى : ولكنى أرى أنك مخطئة كل الخطأ .

پينيلوپى : مخطئة !

جولايتلى : أنت لاتحسبين أنه يريد السفر معها إلى باريس، فما من رجل محتفظ برشده يقدم على مثل هذه المجازفة .

پينيلوپى : لماذا يعتزم الرحيل إذن ؟

جولايتلى : لأنها ترغمه على ذلك . وإذا حدث مرة أن امرأة فى مثل هذه الظروف أرغمت رجلا على فعل ما لا يريد ، فإن هذا يكون بداية النهاية .

پينيلوپى : ومن أين لك العلم بذلك ؟

جولايتلى : أنا لا أعلم ذلك ، ولكنى أحزره .

پينيلوپى : يبدو لى أن قضاءك العمر بأكمله فى دراسة الرياضيات أدى إلى إلمامك بعلم آخر مختلف كل الاختلاف .

جولايتلى : كونى فتاة طيبة يا پين ، ودعيهما يرحلان

[تمر فترة سكوت تسند پينيلوپى رأسها بيديها خلالها ، وتحدق فى أبيها ، وتفكر فى الأمر]

پينيلوپى : إنك كنت على حق حين قلت إنى فى حاجة إلى قدر كبير من اللباقة ، وقدر كبير من الصبر ، وقدر كبير من ضبط النفس . يا الله !

جولايتلى : [مبتسما] وبعد ؟

پينيلوپى : لن أفعل شيئاً . سأمسك لسانى ، وأبتسم ، وأحكى الفكاهات والنكات ، ولكن ...

جولايتلى : نعم ؟

پينيلوپى : إنى فى حاجة ماسة إلى قبعات . سأحادث « فرانسواز » فى التليفون الآن وأطلب إليها إرسال كل ما فى دكانها من قبعات

[يدخل ديكى]

جولايتلى : كنت أهم بالانصراف .

ديكى : آسف ... ولم هذه العجلة ؟

جولايتلى : وعدت زوجتى بأن أصحبها إلى المنزل .

پينيلوپى : لابد أن تعود ثانية . فهذه هى أول مرة أفترق فيها عن ديكى منذ زواجنا . وسأحتاج إلى إخفاء رأسى فى صدر أمى بينما يربت أبى النبيل على يدى .

ديكى : وددت أنك لم تقابلى الأمر بهذا الهدوء يا پين . فقد يحز ذلك فيك بعض الشىء .

پينيلوپى : ولكنى يا عزيزى أعد كل عدة لأصاب بنوبة إثر نوبة من النوبات الهستيرية الحادة . ولا أستطيع أن أزيد .

ديكى : ويلى ، هذا صحيح .

پينيلوپى : [عن قصد معين] أنا أعلم على أية حال يا ديكى أنه لولا اضطرارك إلى السفر لما سافرت . فأنت تسافر لشعورك بأن هذا واجبك ، أليس كذلك ؟

[يتململ ديكى نوعاً ما ولكنه لا ينبس . ويقطع جولايتلى السكوت الموقت]

جولايتلى : لماذا تسافر ليلا ؟

ديكى : [يجد الفرج] أوه ، سيكون الزحام كما تعلم أقل كثيراً . وهذا أكثر ملاءمة عند ما ننتقل بمريض .

پينيلوپى : [جذلة] ستكون الرحلة مفعمة بالمتعة . لأنك سترى كل الشبان المرحين الذاهبين فى رحلاتهم القصيرة إلى باريس مصطحبين حبيباتهم . وقيل لى إنهم اعتادوا السفر ليلا خشية أن يراهم أحد أثناء رحيلهم .

جولايتلى : حسناً ، لا بد لى من الانصراف وإلا تأخرت ، إلى اللقاء .

پينيلوپى : لا تُطِل غيبتك عنى يا أبى وإلا غلبنى الانفعال قبل أن تعود .

جولايتلى : [مومئا برأسه] آمل أن أراك فيما بعد يا ديكى .

[يخرج . تسير پينيلوپى وكأنها تتبعه]

پينيلوپى : سأصعد لأتناول الشاى .

ديكى : [بشىء من الجفوة] أريد أن أقول لك بضع كلمات يا پين .

پينيلوپى : اصعد معى إلى غرفة الاستقبال إذن .

ديكى : أفضّل أن أحادثك هنا .

پينيلوپى : [تجلس] حسناً جداً . تكلم .

ديكى : يمكنك أن تطلبى الشاى إذا شئت .

پينيلوپى : لا ، لن أتناوله ، وليعتلّ هضمى .

ديكى : [يخرج أوراقاً من جيبه ويناولها لپينيلوپى] أتعرفين ما هذه الأوراق ؟

پينيلوپى : [بابتسامة عذبة] أهى .. فواتير ، ياعزيزى ؟

ديكى : أستطيع أن أرى أنها فواتير ، شكراً لك !

پينيلوپى : [تلوح فى الهواء باحدى الفواتير] هذه خاصة بالثوب الذى أرتديه . أترى أنه

لا يساوى هذا الثمن الغالى ؟ أترى ذلك ؟
[تنظر إلى الثوب] هذا الثمن يشتمل على
أجرة التفصيل كما تعلم .

ديكى : [يحاول الاحتفاظ بهدوئه] وماذا تنتظرين
منى أن أفعل بهذه الفواتير ؟

پينيلوپى : [بلاكتراث] يمكنك أن تلقى بها فى سلة
المهملات إذا شئت . ولكنك تختصر
الطريق إذا سددتها .

ديكى : [يثور غضباً] اسمعى يا پين . هذا غير
معقول إطلاقاً . أنت تعلمين أنى لن
أحتمل مثل هذا التصرف .

پينيلوپى : [تظهر عليها دهشة شديدة ، وتقول ملاطفة]
إنك لن تثير يا عزيزى ضجة لأنى
اشتريت لنفسى بعض الحاجيات القليلة
البسيطة . إن ثيابى فى الواقع أصبحت
خرقاً بالية ، وقد حسبت أنك تسر أن
ترانى فى هندام حسن .

ديكى : سحقاً لكل شىء . إنى رجل فقير ، وقد
أنفقت ما يزيد على مائة وخمسين جنيهاً
فى هذا الشهر وحده .

پينيلوپى : [فى هدوء] أبلغ ما أنفقته هذا الحد ؟ من

حسن الحظ أنك وجدت مثل هذه العميلة الطيبة السيدة ماك ، أليس كذلك ؟

[ينظر إليها نظرة ارتياب ، ولكي يتخلص من حكاية السيدة ماك ، ينفجر غاضباً]

ديكي : أنا أسمي ذلك إسرافاً طائشاً . والآن انظري ... هنا خمسة وثلاثون جنيها ثمن ثوب أزرق اللون اشتريته فى التاسع من أكتوبر – ثمن غير معقول .

پينيلوپي : يوم سباق « ديوك أوف يورك » فى كيمپتون .

ديكي : ماذا تقصدين بسباق « ديوك أوف يورك » فى كيمپتون ؟

پينيلوپي : تذكرت من توى أن السباق جرى فى نفس اليوم نفسه، لأن مدام « كلود » دهشت إذ رأتني يومذاك . وكان من المصادفة البحتة أنها لم تذهب إلى السباق هى أيضاً .

ديكي : ولكن أى شئ أوحى إليك أن تذهبي وتشترى ثوبا أزرق ؟

پينيلوپي : [فى رقة بالغة] حسناً . كان ذلك اليوم كما تعلم يا عزيزى يوم إجراء أول جراحة للسيدة ماك . وكنت أنت متغيبا طوال

اليوم فشعرت بكآبة. ووحدة ممضّتين .
ولم يغب عني ما كنت تعانيه من قلق ،
فأقلقني ذلك أيضاً . وعلى ذلك ذهبت من
توى وطلبت حياكة ثوب أزرق لأسرّى
عن نفسى قليلا .

[ينظر ديكى إليها هنيهة ، ثم يهبط ببصره إلى الفاتورة ، ويوشك أن يتكلم ، ولكنه لا ينطق شيئاً . وتلاحظه بينيلوبى]

ديكى : [فجأة] ثم هذا أيضاً ، قفاز وكاب من « الارمين » فى يوم ١٣ أكتوبر .

پينيلوپى : نعم هذا يوم إجراء الجراحة الثانية للسيدة ماك المسكينة .

ديكى : الحق إن المسألة فى رأيى تجاوزت الحد بعض الشئ .

پينيلوپى : حسناً ، كان لا بد أن أصنع شيئاً أثناء غيابك . وقد رأيت الجميع يتوجهون فى عرباتهم إلى شارع « ليفربول» حاملين منظار السباق المعظم فشعرت بتعاسة شديدة .

ديكى : معذرة ، فأنا لم أفهم قصدك .

پينيلوپى : إن يوم ١٣ من أكتوبر كان كما تعلم يوم سباق سيزا رويتش .

ديكى : وأظنك ستتبعين الطريقة نفسها لتبرير

سائر «الفواتير» [ينظر فى فاتورة] يوم ٢٢ أكتوبر .

پينيلوپى : سباق ساندوون [يجول ديكى ببصره فى «الفاتورة» غاضباً ، ولكنه لا يقول شيئاً] إنى أعجب لماذا كنت تحدد لجراحاتك دائماً اليوم الذى يجرى فيه سباق هام !

ديكى : أظنك ترين ذلك غريبا ؟

پينيلوپى : بعض الغرابة .

ديكى : حسناً ، ليس الأمر غريباً قط ، إنها طريقة من طرق صديقى العجوز « پيتر مارزدين » الشاذة . لقد قلت لك إن « پيتر مارزدين» هو الذى أجرى تلك الجراحات ، أليس كذلك ؟ [تومئ پينيلوپى برأسها] فالواقع أنه مجنون تماماً بالسباق . وقد أضاع عليه مبلغاً جسيما من المال إلى حد أنه صار يختار لإجراء كل جراحة هامة نفس اليوم المحدد للسباق ، وذلك ليستحيل عليه حضور حفل السباق كل الاستحالة .

پينيلوپى : عجوز مضحك [ينظر إليها ديكى مرتاباً ، فتقول بضحكة] أقصد « پيتر مارزدين » ، لا أنت يا عزيزى .

ديكى : والآن اسمعى يا پين . كفى حديثاً عن تلك الفواتير . وسأسدد مبالغها هذه المرة...

پينيلوپى : كنت أعلم أنك ستفعل .

ديكى : ولكن يجب ألا تستجد فواتير أخرى .

پينيلوپى : لست أدرى حقاً لماذا تثير كل هذه الضجة، مع أنك كنت تحصل من السيدة ماك على أكوام وأكوام من المال .

ديكى : ينبغى ألا نعد كتاكيتنا قبل أن يفرخ البيض، فأنا لم أحصل منها على مليم واحد بعد .

پينيلوپى : أما وهى تزمع الرحيل الآن فتستطيع أن ترسل إليها قائمة حسابك .

ديكى : أوه ، لا إخال أنى أستطيع ذلك . فقد يقتلها هذا .

پينيلوپى : ألا تظن أنه يمكنك المجازفة ؟

ديكى : أعتقد يا پين أنك قاسية جداً . فأنت تنسين أننى شديد التعلق بتلك السيدة . فإنى أعدها صديقة كما أعدها عميلة .

پينيلوپى : لعلها توصى لك بشىء بعد موتها، فنحن فى حاجة إلى سيارة كهربيّة ، أليس كذلك ؟

ديكى : أوه، لن أقبل هذا . فأنا أمقت أن يحصل

الأطباء على تركات من عملائهم :

پينيلوپى : حسناً ، يمكنك أن تطالبها بمائة وخمسين جنيهاً على الأقل لسفرك بها إلى باريس .

ديكى : [فى فزع] پين !

پينيلوپى : أوه ! لقد أفزعتنى .

ديكى : أنت لا تنوين شراء أشياء أخرى؟

پينيلوپى : حسنا يا عزيزى : أنا أعلم أنى عندما أستيقظ صباح غد ولا أجدك هنا ، سينتابنى شعور أليم بالوحدة والضيق .

ديكى : [مقاطعاً] اطلبى من أملك التقية أن تقيم معك .

پينيلوپى : وقد خطر لى أنى ، بكل بساطة ، لا أملك قبعة أستطيع ارتداءها .

ديكى : [عابساً] پينيلوپى .

پينيلوپى : [محاولة إقناعه] لو أن لى بعض القبعات الجميلة لأعان ذلك على أن تعيش أثوابى مدة أطول ، إذ يكفى أن تبدل المرأة قبعتها كما تعلم ليظن الناس أنها ترتدى ثوباً جديداً .

ديكى : وهل أتجاسر فأسأل كم قبعة تحتاجين إليها للتغلب على ضيقك ؟

پينيلوپى : (مصممة) ثلاث .

ديكى : أنا لم أسمع فى حياتى بمثل هذا السخف .

پينيلوپى : اسمع ياديكى . أنا أريد أن ألتقى بك فى منتصف الطريق، ولذا أعدك ألا يزيد ثمن القبعة الواحدة على خمسة جنيهات . ويمكنك أن تعطينى هذا المبلغ من الجنيهات المائة والخمسين .

ديكى : الواقع ياپين أن السيدة ماك صديقة أكثر مما هى عميلة ، وحالتها المالية ليست حسنة كما ظننت، وأنا أنوى ألا أطالبها بأجر على مرافقتى لها إلى باريس .

پينيلوپى : (فى حزم شديد) أوه ، لا ياديكى . أنا لا أوافق أبدا ، فإن لديك زوجة يجب أن تفكر فيها . إنك إن تمت غداً تتركنى معوزة . وليس من حقك أن تغلو فى شهامتك ، . ففى هذا ظلم لى .

[تدخل پيتون بينما يوشك ديكى أن يتكلم]

پيتون : هناك سيدة تريد أن تلقاك يا سيدى .

ديكى : [مغيظاً] فى هذه الساعة ؟

پيتون : إنها السيدة واطسون يا سيدى .

ديكى : أوه ، نعم ، نعم، أدخلها . [تخرج پيتون]

ديكى : شكراً لله ، فقد جاء عميل وسأحصل على بضعة جنيهات أيا كانت الحال . [ينظر فى مفكرته] أربع زيارات . سيكون مجموع الأجر خمسة جنيهات وخمسة شلنات . والله إنى لفى حاجة إليها .

پينيلوپى : ما بها ؟

ديكى : لا أدرى . بيد أنى أتظاهر أنى أعرف علتها . وأغلب الظن أنها لن تلحظ على ذلك .

پينيلوپى : سأتركك . فلابد لى من مخاطبة بعضهم « تليفونياً » .

[تخرج ، ويروح ديكى ويغدو مغيظاً . وتدخل السيدة واطسون فيتخذ سيماء مهنته ، ويغدو لطيفاً مجاملا للغاية . والسيدة واطسون عجوز قصيرة ترتدى ثوباً أسود]

ديكى : حسناً يا سيدة واطسون ؟

السيدة واطسون : أرجو ألا يضايقك أنى جئت فى هذه الساعة المتأخرة . فأنا أعلم أنك لا تستقبل أحداً بعد الخامسة ، ولكنى راحلة .

ديكي : يسرني أن أراك . أؤكد لك ذلك .

السيدة واطسون : سأسافر غداً إلى الريفيرا مع ابنتي .. وقد رأيت أن أزورك مرة أخرى قبل سفري .

ديكي : بالطبع . وكيف تقدمت حالك ؟

السيدة واطسون : [راضية كل الرضا] أوه ، إن حالي لا تتقدم . فأنا لا أتحسن أبداً .

ديكي : أكنت تتناولين الدواء بانتظام ؟

السيدة واطسون : [بسرور] نعم . ولكنه لم يفدني فتيلا .

ديكي : دعينا نفحص رجفة ركبتك ، هل تسمحين ؟

[تضع السيدة واطسون رجلا على رجل ، ينقر ديكي أسفل ركبتها ، فترتجف رجلها ارتجافاً خفيفاً]

ديكي : لا بأس .

السيدة واطسون : لقد جرَّب معي السير بنيامين برودستيرز كل دواء ، ولكنه لم يتمكن من شفائي. وتوجهت بعد ذلك إلى السير وليم ويلسون ، فأشار عليّ أن أمتنع عن اتباع أي شيء مما أشار به السير بنيامين برود ستيرز . فساءت حالي أكثر .

ديكى : أنت تبدين مبتهجة ابتهاجاً غير مألوف .

السيدة واطسون : إنى ترددت على كل طبيب فى لندن . وقد أجمع الأطباء على أن حالتى غريبة. وأنا أحب أن يفحصنى الأطباء ، وهم يهتمون بى كل الاهتمام . . وكم من ساعات وساعات أنفقوها فى فحصى . ولن أستطيع بحال أن أوفيهم حق العرفان بالجميل على ما غمرونى به من رعاية .

ديكى : جميل منك أن تقولى هذا ، وأظننى سأجرب معك اليوم دواء جديداً .

السيدة واطسون : أوه ، اجعله لطيفاً وقوياً ، أتفعل ذلك يا دكتور ؟

ديكى : يبدو أنك تؤثرين أن يكون دواؤك غنياً بالمواد ؟

السيدة واطسون : أنا أحب تناول الأدوية ، فذلك نوع من العمل يشغلنى . وأنا أعانى الوحدة الآن بعد أن تزوجت ابنتى . ويبدو لى أنى تناولت جميـــع أنواع الأدوية الموجودة بالصيدليات ، ولكن أحداً منها لم يعد علىّ بأى نفع .

ديكى : [يناولها تذكرة الدواء] حسناً . لعل هذا

ينفعك ، وعليك تناوله ثلاث مرات يومياً قبل كل وجبة .

السيدة واطسون : [تنظر فى التذكرة] أوه ، ولكنى جربت هذا الدواء من قبل يا دكتور أوفاريل ، فقد وصفه لى سير آرثر توماس منذ بضعة أشهر.

ديكى : حسناً . جربيه مرة ثانية. فلعلك لم تتيحى له فرصة كافية ليحدث أثره .

السيدة واطسون : قرأت فى مجلة «لانسيت» منذ أيام أن طبيباً ألمانياً وجد دواء جديداً يفيد حالات الأعصاب فائدة كبيرة . وأنا واثقة من أن هـذا بالذات هو الدواء الذى أحتاج إليه .

ديكى : وأى داع يدعوك إلى قراءة مجلة لانسيت؟

السيدة واطسون : أوه أنا أقرأ دائما كلا من مجلة لانسيت والمجلة الطبية البريطانية ، فقد كان لابد لزوجى المسكين من الاشـتراك فيهما لحاجته إليهما فى مزاولة عمله .

ديكى : (فاغراً فه) أتعنين أن زوجك كان طبيباً ؟

السيدة واطسون : أوه ، حسبتنى أخبرتك أنى أرملة طبيب

[يحاول ديكى أن يتغلب على اضطرابه بينما تواصل السيدة واطسون ثرثرتها]

السيدة واطسون : أنا لا أستطيع أن أحتمل قط كلمة سوء تقال عن الأطباء . فهم لم ينفعونى بطبهم ولكنهم كانوا غاية فى اللطف معى . ولم ألق معاملة فظة إلا مرة واحدة وقد أقدم عليها طبيب نكرة – إن كنت تصدقنى – شرحت له أعراض مرضى كلها ، فسألنى قائلا : أتقبلين على الطعام ياسيدتى ؟ وأجبته نعم ، فأنا أتناول وجبة إفطارى صباحاً ثم قليلا من الحساء فى الساعة الحادية عشرة وأتناول وجبة الغداء ، وفى العصر أتناول دائماً شاياً دسما ، وفى منتصف الساعة الثامنة أتناول عشاء خفيفاً ، ثم أتناول لبنا مع قليل من الخبز قبل رقادى . وعاد يسألنى : أتستطيعين النوم يا سيدتى ؟ فقلت نعم ، أنا أنام جيدا بالنسبة لسنى المتقدمة ، وأنام بانتظام مدة ثمانى ساعات أو تسع ساعات يومياً . ثم سألنى : أتستطيعين المشى يا سيدتى ؟ فأجبته : أوه ، نعم ، فقد وضعت لنفسى قاعدة لا أحيد عنها هى أن أقطع أربعة أميال يومياً سيراً على قدمى . فقال بعدئذ : أرى أنك لاتعانين شيئاً قط . طبت مساء .

ديكى : تصَورى ذلك .

السيدة واطسون : حسناً لم يكن منى إلا أن نظرت إليه من أعلى إلى أسفل ، ثم قلت له : ياسيدى، رأيك هذا لايشاركك فيه سير بنيامين برود ستيرز ، أوسير وليم ويلسون ، أو سير آرثر توماس ، ولم أقدم له حتى أجر الكشف الطبى ، واكتفيت بأن انسحبت من الغرفة مرفوعة الرأس . [بخبث] ألن تعطينى تذكرة الدواء الجديد ؟

ديكى : أصدقك القول إنى لاأعتقد أن هذا الدواء هو الذى تحتاجين إليه بالذات .

السيدة واطسون : حسناً جدا . أظن أنك أدرى منى بذلك . والآن ينبغى على ألاأشغل قدراً آخر من وقتك .

ديكى : [ساخراً] أوه ، وقتى لاقيمة له . أشكرك

السيدة واطسون : [محاولةحمله على الجواب] أتسمح أن تخبرنى عن المبلغ الذى أنا مدينة لك به ؟

ديكى : آه ، بما أنك أرمل طبيب فلا يخطر لى بالطبع أن أقبل منك أجراً .

السيدة واطسون : هذا تفضل منك . ولكن يجب أن تسمح لى بإعطائك هدية صغيرة .

ديكى : [يضعف نوعاً ما ، ولكن وجهه يشرق قليلا]
أوه حقاً ، المسألة . . .

السيدة واطسون : لقد ذهبت إلى كل طبيب ذى شأن فى لندن ، ولم يطالبنى واحد منهم بمليم واحد أجراً ، ولكنى اعتدت أن أقدم لكل منهم هدية صغيرة . وأنا لا أجهل أن عليكم معشر الأطباء أن تخرجوا وتتعرضوا لمختلف الأجواء دون أن تتدثروا أبداً . ولذا كنت أهدى كلا منهم لفاعاً من الصوف .

[تخرج من حقيبتها لفاعاً صوفياً أحمر اللون كبيرا]

ديكى : [ساهماً] أوه ، شكراً جزيلا .

السيدة واطسون : صنعت هذا اللفاع بنفسى .

ديكى : صحيح ؟

السيدة واطسون : ووعدنى سير بنيامين أن يرتدى لفاعه كل شتاء . ستجده مدفئاً جداً .

ديكى : أنا مقدر لجميلك كل التقدير .

السيدة واطسون : والآن وداعاً ، وأشكرك شكراً جزيلا .

ديكى : خير ما تصنعين بعد عودتك من الريفيرا أن تستشيرى الدكتور روجز ، وهو يقطن فى الطرف الآخر من الشارع كما تعلمين .

إنه خير من يستشار فى حالات كحالتك .

السيدة واطسون : شكراً جزيلا .

ديكى : طبت مساء .

[تخرج ويغلق الباب وراءها ، ويعدو إلى الباب الآخر وينادى صائحاً]

ديكى : پين ! پين !

صوت پينيلوپى : نعم .

[طرق على الباب]

ديكى : [متضايقاً] ادخل .

[تدخل السيدة واطسون]

السيدة واطسون : كنت أعلم أن هناك أمراً أريد أن أسألك عنه بالذات ، ولكنى كدت أنساه . حظر علىّ سير بنيامين برود ستيرز أن آكل شيئاً غير قطع الخبز « المقمّر » ، ولكن سير وليم ويلسون لا يعتقد أن الخبز المقمّر يفيدنى بحال ، وأن علىّ أن آكل الخبز العادى وحده ، فأى القولين أتبع ؟

ديكى : [جاداً كأنه يناقش زملاءه فى استشارة] حسناً ، لو كنت مكانك لأكلت الخبز مقمراً من ناحية واحدة فقط .

السيدة واطسون : شكراً جزيلا . وداعاً . آمل أن يروقك
اللفاع .

ديكى : لا شك فى ذلك . طبت مساء .

[تخرج ثانية ، ويغلق ديكى الباب وراءها]

ديكى : پين ! پين !

[تدخل پينيلوپى من الباب الآخر]

پينيلوپى : ما الأمر ؟

[يتجه إليها ديكى حانقاً واللفاع فى يده]

ديكى : انظرى ! هذا هو أجرى ! هذا !

پينيلوپى : إنه لفاع من الصوف .

ديكى : لا تكونى بلهاء يا پينيلوپى ، فأنا أستطيع
أن أرى أنه لفاع فى الصوف .

پينيلوپى : ولكن ، ما معنى هذا ؟

ديكى : إنها أرملة طبيب ، فلم أستطع بالطبع
أن أطلب أجراً . وقد أخفت عنى ذلك
إلى اليوم ... أقول لك شيئاً . . يجب
ألا يسمح لأرامل الأطباء أن يعيشوا
بعد موت أزواجهن .

پينيلوپى : أوه !

ديكى : عند ما تصبحين أرملة بعد موتى يا پين ،
اقطعى شارع « هارلى » ذهاباً من أحد

جانبيه ، ثم إياباً من جانبه الآخر ، واطلبى إلى جميع أطباء الشـــارع أن يفحصوك .

پينيلوپى : ولكن لنفرض أنى غير مريضة ؟

ديكى : سحقاً . فأقل ما تستطيعين إذا فقدتنى أن تستمتعى بصحة معتلة .

[تدخل پيتون]

پيتون : معذرة يا سيدى . تسألك السيدة واطسون إن كانت تستطيع لقاءك لمدة دقيقة واحدة .

ديكى : [مستسلما] نعم .

[تخرج پيتون]

ديكى : ترى ماذا تريد الآن ؟

[پيتون تقود السيدة واطسون إلى الغرفة]

السيدة واطسون : قد تظن أنك لن تفرغ منى أبداً .

ديكى : [بلطف] لا ، أبدا .. لا ، أبدا .

السيدة واطسون : كنت أفكر فيما قلته عن تقمير الخبز من ناحية واحدة . . . ففى أية ناحية أضع الزبد ؟

ديكى : [واضعاً ذقنه فى يده] هيم م م . يجب أن تضعى الزبد فوق الناحية المقمرة .

السيدة واطسون : أوه ، شكراً . والآن لم يبق غير سؤال

واحد فقط . أتظن أن قليلا من المربىّ يضرُّ بى ؟

ديكى : لا . لا أظن أن قليلا من المربىّ يضر بك . ولكن عليك ألا تضعيها فوق الناحية التى تضعين فوقها الزبد .

السيدة واطسون : أوه ، أشكرك ، طبت مساء ، أنا شاكرة جداً .

ديكى : عفواً ، عفواً .

(تخرج السيدة واطسون)

ديكى : (يهز قبضته متوعداً وراء الباب) لميتك دفنت حية مع زوجك . . . « ستِـى »(*) حرق الأرملة عند موت زوجها . . . هذه هى الكلمة بالضبط .

پينيلوپى : ديكى ، ما هذا الذى تقوله ؟

ديكى : ظللت أفكر فى هذه الكلمة مدة عشر دقائق . هذا ما يجب على أرامل الأطباء أن يفعلنه « ستِـى » كما يفعل نســاء الهنود .

پينيلوپى : أيحرقن أجسادهن أحيــاء عند موت أزواجهن ؟

(*) Suttee

ديكى : أصبت «ستى» . هذه هى الكلمة .

پينيلوپى : ولكنى أكره أن أجمّل جنازتك يا عزيزى بجعل جثتى شعلة للزينة .

ديكى : أوه . أنت لا تحبيننى .

پينيلوپى : أحبك كثيراً . ولكنك تطلب منى الشىء الكثير ، أليس كذلك ؟

ديكى : لا ، فأنت لا تهتمين بى اليوم كما اعتدت أن تهتمى بى من قبل . لقد تغيرت تماماً . وقد لاحظت أشياء كثيرة ...

پينيلوپى : [ترمقه بنظرة سريعة ، ولكنها تظل محتفظة بدعابتها] أوه ، هراء .

ديكى : لقد تغيرتِ فى المدة الأخيرة . فأنت لا تنزلين لتوديعى عند خروجى صباحاً ، ولا تسأليننى عن موعد رجوعى ، وكانت عادتك أن تجلسى بعد الإفطار على مسند مقعدى وأنا أدخن غليونى ، وأقرأ صحيفتى .

پينيلوپى : لابد أنك كرهت ذلك منى . أليس هذا صحيحاً ؟

ديكى : طبعاً كرهته ، ولكنه كان يدل على أنك كنت مغرمة بى . فلما أمسكتِ عنه أحسست أنى أفتقده .

[تدخل پيتون أمام السيدة فيرجسون ، ثم تنسحب]

پيتون : السيدة فيرجسون .

[ديكى يجفل قليلا ، وتبدو عليه أمارات غيظ طفيفة ، فهو لا يستطيع أن يدرك سبب مجىء السيدة فيرجسون]

السيدة فيرجسون : أخبرتنى الخادم أنكما هنا ، فطلبت إليها أن تقودنى إليكما مباشرة ، وأرجو ألا يضايقكما ذلك .

پينيلوپى : لا ، بالطبع فنحن يسرنا أن نراك فى أى مكان ، أترغبين فى قدح من الشاى ؟

السيدة فيرجسون : لا ، شكراً . فقد جئت فى الواقع لأستشير الدكتور أوفاريل بوصفه طبيباً .

پينيلوپى : أرجو ألا تكونى مريضة ؟

السيدة فيرجسون : شعرت فى المدة الأخيرة بأنى لست بصحة جيدة ، وخطر لى أن أعرض نفسى على طبيب . [إلى ديكى] هل لك أن تتولى علاجى ؟

ديكى : سأبذل لك ما أستطيع .

السيدة فيرجسون : ولكن الزيارة لابد أن تكون زيارة عمل . فأنا أريد أن أدفع عنها أجرا .

پينيلوپى : أوه ، هراء . فلا يخطر ببال ديكى أن يقبل مالا من إحدى صديقاتى .

السيدة فيرجسون : لا . فأنا شديدة التمسك بمبدئى فى هذه المسألة . وفى ظنى أنه قبيح بالناس أن يطلبوا إلى الطبيب علاجهم بدون مقابل .

أنا أصر حقاً على دفع الأجر المعتاد .

ديكى : أوه ، حسنا . سنناقش ذلك فيما بعد

پينيلوپى : سأترككما وحدكما ، أليس كذلك ؟

السيدة فيرجسون : أتسمحين بذلك ياعزيزتى ؟ فأنا أشعر بشئ من المضايقة إذا ناقشت أعراض مرضى أمام شخص ثالث .

پينيلوپى : بالطبع :

السيدة فيرجسون : لن يستغرق الأمر غير خمس دقائق .

پينيلوپى : حذار من أدوية ديكى فهى كريهة جدا . (تخرج)

ديكى : يؤسفنى أنك موعوكة . لقد كنت أمس بخير .

السيدة فيرجسون : (ضاحكة) أنا أوفر صحة منى فى أى وقت مضى ، أشكرك (ديكى يؤخذ بعض الشىء) هذه ميزة كونك طبيباً . فمتى أردت أن أنفرد بك استطعت ذلك تحت أنف زوجتك . ألا ترى فى ذلك شيئاً من البراعة منى ؟

ديكى : (بجفاء) براعة فائقة [تضحك ضحكة قصيرة وتقوم وتخطو فى حذر إلى الباب وتفتحه على غرة] بربك ماذا تصنعين ؟

السيدة فيرجسون : أردت أن أرى ما إذا كانت پينيلوپى تتسمع .

ديكى : (بشيء من الحدة) إنها لم تكن تتسمع بالطبع ، فهذا آخر شئ تصنعه .

السيدة فيرجسون : أوه ، ياعزيزى ، لايخرجك ذلك عن طورك . فكم من امرأة تتسمع كما تعلم .

ديكى : أيفعلن ذلك ؟ أنا لم أسعد بلقائهن .

السيدة فيرجسون : هراء .

ديكى : وبعد ، أتخبرينى عن الخدمة التى أستطيع أن أؤديها لك ؟

السيدة فيرجسون : [مداعبة] لن أقول شيئاً قطعاً : مادمت تخاطبنى بمثل هذه اللهجة الجافية ... تستطيع تقبيل يدى (يقبل يدها) هـذا حسن . ألا تزال غاضباً ؟

ديكى : لا

السيدة فيرجسون : أتحبنى كعهدك دائما ؟

ديكى : نعم .

السيدة فيرجسون : لو أنك كففت عن حبى أكنت تصارحنى بذلك ؟

ديكى : لا .

السيدة فيرجسون : يالك من وحش !

ديكى : (فى شيء من الضجر) خبرينى ، أى شئ فى الوجود حملك على المجيء ؟

السيدة فيرجسون : أنت لطيف حقا فى معاملتى اليوم .

ديكى : حسنا ، إننا رتبنا كل شيء عندما فارقتك أمس ، وقد أعطيتك تذكرة السفر ، وكتبت لك ميعاد قيام القطار.

السيدة فيرجسون : حسناً . أولا أردت أن أرى پينيلوپى .

ديكى : لماذا ؟

السيدة فيرجسون : يروّح عنى أن أرى سذاجتها . إنى أشعر بالجذل الشديد عندما أنظر إليها وأرى كيف أنها لاتشك فتيلا فيما يجرى تحت أنفها . إنها أشد من عرفتهم فى حياتى حسن ظن

ديكى : إذا أردت رأيى فاعلمى أن هذا يشعرنى بضيق فظيع .

السيدة فيرجسون : عم تتحدث يا ولدى العزيز المسكين ؟

ديكى : لم يكن الأمر يسوءنى لو أننا اضطررنا لاتخاذ أى احتياط . ولكنها تثق فينا ثقة عمياء، بل إنها لتعيننا دائما على الاجتماع ، ولا يخطر ببالها قط أن هناك أقل سبب لإساءة الظن . فكأننا الآن نصرع رجلا لايستطيع الدفاع عن نفسه .

السيدة فيرجسون : أهذا يعنى أنك لم تعد تحبنى ؟

ديكى : أنا أحبك بالطبع . يا لله ! لقد كررت لك ذلك حتى احتقن وجهى .

السيدة فيرجسون : أوه ، لا . أنت لم تعد تحبنى ، فالرجال لا تبدأ وساوسهم إلا بعد زوال حبهم للمرأة (تصدر من ديكى آهة استسلام ، وهذه المشادة ليست الأولى التى اضطر إلى احتمالها) إنى ضحّيت فى سبيلك بكل شئ ، وهأنتذا تهيننى اليوم . وعند ما أفكر فى زوجى المسكين الذى يخدم وطنه بشجاعة فى بلد غريب !.. آه ، إنها لقسوة ، قسوة !

ديكى : ولكنى لم أقل إلا أن سوء معاملتى لپينيلوپى أشعرنى بالخسة .

السيدة فيرجسون : ولكنك لا تفكر فى شعورى . لا يخطر لك كيف أشعر أنا . وماذا تقول فى زوجى ؟

ديكى : حسناً ، لم يحدث أنى عرفت زوجك . أما زوجتى فإنى أعرفها فعلا .

السيدة فيرجسون : لا تكن أحمق . فما من شك أنك تعرف زوجتك .

ديكى : وهذا ما يجعلنى أكره أن أسلك معها سلوك رجل سافل دنئ .

السيدة فيرجسون : لو أنك أحببتنى حقاً لما فكرت فى أى

شيء ، أى شيء ، أى شيء غيرى .

[تضع منديلها على عينيها]

ديكى : أوه ، اسمعى . لا تبكى .

السيدة فيرجسون : بل سأبكى . أنا لم أعامل مثل هذه المعاملة من قبل . وإذا كنت لم تعد تحبنى فلماذا لا تصارحنى بذلك ؟

ديكى : نعم ، أنا أحبك . ولكن ...

السيدة فيرجسون : لكن ماذا ؟

ديكى : [بعصبية] حسناً — إرر — أظن أنه يحسن بنا أن نؤجل رحلتنا إلى باريس بعض الوقت .

السيدة فيرجسون : [تلهث غضباً] أوه ! أو. ! أوه !

ديكى : پينيلوپى تثق ثقة عمياء .

السيدة فيرجسون : لن أكلمك بعد الآن . وددت لو أنى لم أقابلك قط . أوه ، كيف تستطيع أن تهيننى هذه الإهانة ! .

[تأخذ فى النشيج]

ديكى : أوه يا إلهى ! أوه يا إلهى ! قلت لك لا تبكى . أنا لم أقصد الإساءة إليك . أنا آسف أشد الأسف .

[يحاول أن يبعد يدها عن وجهها].

السيدة فيرجسون : لا تمسنى . لا تقترب منى .

ديكى : سأفعل كل ما تريدين إذا أمسكت عن البكاء . فكرى فيما يكون إذا دخلت علينا پينيلوپى . وأنا لم أكن أهتم إلا بما قد يصيبك من هذه المجازفة . وليس هناك بالطبع شىء أتوق إليه مثل رحلة نقوم بها عبر القنال .

السيدة فيرجسون : أهذا صحيح ؟

ديكى : نعم .

السيدة فيرجسون : أتريد أن آتى معك حقاً ؟

ديكى : أريد ذلك دون شك فيما إذا كنت لا تبالين عقبى المجازفة .

السيدة فيرجسون : [بابتسامة] أوه ، سأدبر ذلك خير تدبير .

ديكى : لماذا ؟ ماذا ستفعلين ؟

السيدة فيرجسون : انتظر دقيقة أو اثنتين ، وسترى .

[تستعيد هدوءها كاملا ، وترجع إليها بشاشتها]

ديكى : نستطيع أن نخبر پينيلوپى بأننا على استعداد لمجيئها .

پينيلوپى : لا بأس . [وبينما يتجه ديكى إلى الباب] أوه ، نسيت كلية . إن لى رأساً كالغربال تماماً .

ديكى : ما الأمر ؟

السيدة فيرجسون : حسنا . كدت أنسى الأمر الذى أتيت لأقابلك من أجله بالذات . ولكنك شغلت الوقت كله بالاشتباك معى فى شجار .

ديكى : أأنا اشتبكت فى شجار؟ لم أتنبه لذلك .

السيدة فيرجسون : أريد أن أطلب إليك شيئاً فهل يغضبك ذلك ؟

ديكى لا أظن ذلك .

السيدة فيرجسون : بالطبع ليس الأمر ذا بال ، ولكن طلبه محرج بعض الشيء .

ديكى : أوه ، هراء ، لاشك أنى سأعمل ماأستطيع .

السيدة فيرجسون : حسنا . لى صديق فى سوق الأوراق المالية أشار علىّ بنصيحة مدهشة ، و ...

ديكى ولم تثمر النصيحـــة . إنى أعرف هذه النصائح المدهشة .

السيدة فيرجسون : أوه ، ولكنها لابد ستعود بالربح . غير أن فروقاً طرأت على السعر يجب سدادها ، وأنا لا أفهم كل هذه المسألة بالضبط ولكن « سولى أبراهام » . . . .

ديكى : [يقاطعها] أهذا هو صديقك الذى يعمل فى سوق الأوراق المالية ؟

السيدة فيرجسون: نعم . ولم السؤال ؟

ديكى : أوه ، لاشيء . اسم اسكوتلاندى قديم طيب . هذ كل ما فى الأمر .

السيدة فيرجسون : يقول سولى إن علىّ أن أرسل له شيكا بمبلغ مائة وثمانين جنيها

[يجفل ديكى قليلا ويبتئس]

السيدة فيرجسون : وكل ما فى الأمر أنه يصعب علىّ قليلا أن أدفع هذا المبلغ فى الوقت الحاضر ، فدخلى يُدفع لى كل لى ستة أشهر كما تعلم ، وليس لى فى الواقع رصيد فى البنك بمبلغ مائة وخمسين جنيهاً ، وأنا لا أقترض مالا أبداً — فهذا شئ لا أحتمله — وقد شعرت بأن الشخص الوحيد الذى أستطيع أن ألجأ إليه الآن هو أنت .

ديكى : لا ريب أن هذا ظريف منك للغاية ، بل إطراء لى .

السيدة فيرجسون : كنت أعلم أنك ستعطينى المبلغ على الفور ، وسأسدده لك بالطبع من أرباحى.

ديكى : آه ، هذا ظريف منك للغاية ، وسأرى ما أستطيع صنعه .

السيدة فيرجسون : أوسبب لك مضايقة شديدة إذا سألتك

أن تكتب لى الشيك الآن ؟ فهذا يزيح
عنى عبئاً يشغل بالى .

ديكى : بالطبع ، وهذا يسرنى سروراً شديداً .
وعلى فكرة ، ما اسم تلك الأسهم ؟
[يجلس إلى مكتبه ، ويحرر الشيك]

السيدة فيرجسون : أوه ، إنها خاصة بمنجم ذهب ، واسمها
جوهانسبرج وأورشليم الجديدة .

ديكى : اسمها يوحى بالثقة . [يناولها الشيك]

السيدة فيرجسون : أشكرك جزيل الشكر ، وهذا ظريف منك
للغاية . والآن اكتب تذكرة دواء صغيرة
حتى يكون ثمة شئ نريه لپينيلوپى .

ديكى : أنت واعية لكل شئ [يكتب]

السيدة فيرجسون : لا بد أن أدفع لك أجراً .

ديكى : أوه ، أنا لا أهتم بهذا .

السيدة فيرجسون : ولكنى مصممة . ثم إنه يجعل القصة أقرب
إلى التصديق .
[تنظر فى كيس نقودها]

السيدة فيرجسون : أوه ، يا لحماقتى ! . لا يوجد فى كيسى
إلا قطعة نقود من ذات الشلنين . تُرى
ألديك الآن جنيهان ؟

ديكى : أوه ، نعم . أظن ذلك ، وهذا هو كل المبلغ الذى ربحته اليوم .

[يخرج الجنيهين من جيبه ويعطيهما السيدة فيرجسون ، فتضعهما على المكتب ومعهما قطعة النقود ذات الشلنين]

السيدة فيرجسون : أشكرك . . . هاك الأجر . وهو يبدو أجراً محترماً جداً . يجب أن تدعه هناك حتى تراه پينيلوپى .

ديكى : أأستطيع أن أناديها ؟

السيدة فيرجسون : سأناديها أنا [تتجه إلى الباب وتنادى] پينيلوپى لقد انتهينا من الكشف .

ديكى : [يسمع أصواتاً أعلى الدار] هالو ، إنه خالنا داڤينپورت .

السيدة فيرجسون : أوه ، لقد قابلته فى المنتزه منذ أيام فتلطف معى كل التلطف ، وسألنى عما إذا كنت من أسرة فيرجسون أوف جلينجرى ولم أعرف ما يعنيه ، ولكنى رددت بالإيجاب ، وبدا أن هذا سره سروراً شديداً .

ديكى : يحسن ألا تخبريه أنك من عامة الشعب وإلا أصيب بنوبة مفاجئة .

السيدة فيرجسون : أوه ، سأخبره أنى من أسرة لاندودنو ، وأظن أن لهذا الاسم وقعاً أبلغ .

ديكى : أنت تتمتعين بما يصح أن يسمى - تأدبا - بأنه قدرة فائقة على الاختراع .

السيدة فيرجسون : أنا لا أدرى شيئاً عن ذلك ، ولكنى امرأة ذات أنوثة ، وهذا هو سبب إعجاب الرجال بى

[تدخل پينيلوپى وبارلو]

بارلو : آه ، السيدة فيرجسون ، هذه مفاجأة سارة .

السيدة فيرجسون : أيها الرجل الشقىّ الخبيث . لقد قيل لى إنك سادر فى غيك .

پينيلوپى : أتقصدين خالى داڤينپورت

بارلو : [مغتبطاً] آه .. آه .. هذه شائعات أيام التلمذة يا سيدة فيرجسون .

السيدة فيرجسون : لو أنى علمت أية سمعة يتداولونها عنك لما سمحت لك أن تحادثنى مدة نصف ساعة فى المنتزه .

بارلو : [تنتفخ أوداجه ابتهاجاً] أوه ، يجب ألا تنصتى لكل مايقال . إن الرجل الذى يختلط بالمجتمعات مثلى لابد أن يتعرض

للقيل والقال ، فعالمنا صغير جداً وكثير التقول .

السيدة فيرجسون : كان الدكتور أوفاريل يكتب لى تذكرة دواء ، فأنا لست فى صحة جيدة هذه الأيام .

بارلو : أوه ، يسوءنى جدا أن أسمع ذلك . ولكنك تبدين فى صحة تامة ، وجميلة للغاية .

السيدة فيرجسون : آه أيها الرجل القاسى الشنيع ! كنت أريد أن ترثى لى وتقول لى إننى أبدو مريضة جدا .

بارلو : إذا سمحت لى بزيارتك أعدك أن أرثى لك ؛ ولكنى أخشى ألا أستطيع أبدا أن أقول لك شيئاً سوى أنك جذابة .

السيدة فيرجسون : هذا ظريف منك للغاية . يجب أن تحضر لزيارتى ساعة رجوعى من باريس .

[ديكى يفزع]

پينيلوپى : أترحلين إلى باريس ؟

السيدة فيرجسون : جئت بقصد إخبارك بهذا . إن لى رأساً مثل الغربال حقاً . فالسيدة ماك المسكينة سألتنى إذا كنت أستطيع مرافقتها إلى

باريس . وقد وقع حادث مشئوم ، فإن أم خادمتها ماتت فجأة ، وتريد الابنة المسكينة بالطبع أن تحضر الجنازة ، ولهذا ..

پينيلوپى : سألتكِ السيدة ماك أن تحلى محل خادمتها ؟. .

السيدة فيرجسون : لمدة يومين فقط بالطبع . والآن أريد أن أعلم يا عزيزتى . . . خبرينى بصراحة ، أيضايقك هذا ؟

پينيلوپى : أنا ؟

السيدة فيرجسون : بعض النساء أطوارهن غريبة للغاية ، وقد ظننت أنك قد لا ترضين عن فكرة سفرى مع الدكتور أوفاريل إلى باريس . وسنعود معاً بالطبع .

پينيلوپى : يا للهراء ! أنا بالطبع فى منتهى السرور ، وسيحلو لديكى أن يجد رفيقاً يصحبه فى رحلته .

السيدة فيرجسون : انتهينا إذن ، فأنا أحب الصراحة كما تعلمين .

بارلو : [يقع بصره على الجنيهين الشلنين] أراك تغترف الذهب اغترافاً يا ديكى .

السيدة فيرجسون : أوه ، هذا هو الأجر الذى دفعته . وقد

صممت على أن أدفع أجراً — وأردت على
الأخص أن تعلمى أنت بالذات ذلك
يا پينيلوپى . فأنا مدققة جداً فى مثل هذه
الأمور .

پينيلوپى : أوه ، ولكن ديكى لا يستطيع قبول هذا
[إلى ديكى] إنك عجوز شحيح !

ديكى : أؤكد لك أننى أبيت قبول هذا المبلغ .

پينيلوپى : حقاً لا بد لك من استرداد مبلغك يا أدا .

السيدة فيرجسون : [ترفع يدها اعتراضاً] لا ، لا أستطيع أبداً ،
فهذا مبدأ من مبادئى .

پينيلوپى : أنا أعلم أن مبادئك سامية ، ولكنى فى
الحق لا أحب أن يقبل ديكى أجراً
لفحصه أعز صديقة لى .

[تتناول پينيلوپى النقود وتعطيها للسيدة فيرجسون]

السيدة فيرجسون : أوه ، طبعاً ، ما دمت تنظرين إلى الأمر
على هذا النحوفأنا لا أدرى ماذا أصنع .

پينيلوپى : ضعى المبلغ فى كيسك ودعى الكلام عن
هذا الموضوع .

السيدة فيرجسون: أوه ، هذا ظريف جداً منك .

[تضع المبلغ فى كيسها ويبدو ديكى مبتئساً
عند ما يرى نقوده تختفى]

السيدة فيرجسون: والآن لا بد لى من الانصراف بسرعة .

[تمد يدها إلى بارلو] طبت مساء . لا تنس أن تأتى لزيارتى ، ولكن اعلم أننى أنتظر منك أن تحدثنى عن كل ما يتعلق براقصة الباليه الصغيرة .

بارلو : [وقد سره أن تظن به مثل هذه الخلاعة] لا تطلبى منى أن أفشى الأسرار .

السيدة فيرجسون : [لپينيلوپى] طبت مساء يا عزيزتى .

پينيلوپى : ساصحبك إلى الباب .

[تخرج پينيلوپى والسيدة فيرجسون]

ديكى : [متوجهاً إلى التليفون] لا أعتقد أنك عرفت فى حياتك فتاة من راقصات الباليه .

بارلو : لا ، ولكنه يطيب لسيدات طبقتنا أن يحسبن المرء غارقا إلى ذقنه مع بنات هذه الحرفة .

ديكى : يا سنترال ، رقم ١٢٣٤ ... آه لو علم الناس أن تسع فتيات من كل عشر من فتيات الباليه يعدن كل ليلة إلى أولادهن وأزواجهن القاطنين فى الضواحى ! . . ولكنى أريد محادثة السمسار الذى أعامله تليفونياً ... أهذا أنت يا روبرتسون ؟ قل لى ، أتعرف شيئاً عن منجم باسم

چوهانسبرج وأورشليم الجديدة ؟ مشروع فاشل ؟ هذا ما ظننته . هذا كل ماأردته ، أشكرك . [يعيد سماعة التليفون إلى موضعها – ويقول لنفسه فى مرارة] . مائة وثمانون جنيهاً ذهبت أدراج الرياح .

بارلو : اسمع يا ديكى . ما دام لديك الآن شىء من الفراغ ، فقد تستطيع أن تجود على بنصيحة طبية ، ولن أدفع لك أجراً بالطبع .

ديكى : يا إلهى ! لكأن عيادتى مستشفى . ولكن ليس هناك حتى من يعاوننى بالتبرعات.

بارلو : المسألة أنى لاحظت أخيراً — أننى لم أعد نحيف القوام كما كنت .

ديكى : لم أكن فى حاجة إلى نظر ثاقب لألاحظ ذلك .

بارلو : أنا لم أطلب منك هذا الرد الذكى يا ديكى ، ولكنى طلبت نصيحتك .

ديكى : لا داعى لأن تشغل بالك برشاقة قوامك وأنت فى هذه السن ! . .

بارلو : أقول لك الحق إنه خيل لى أنى أحدثت بعض الأثر فى نفس سيدة ظريفة جداً...

ديكى : [مقاطعاً] خذ بنصحى وتزوج بها سريعاً قبل أن يتبدد هذا الأثر .

بارلو : السيدة متزوجة، وإن بدا لك هذا غريباً .

ديكى : لا تتردد إذن وانج بجلدك .

بارلو : ماذا تعنى يا ديكى ؟

ديكى : يا خالى العزيز دافينپورت ، أنا فى سن تسمح بأن أكون مثل ولدك ... إن مغازلة المرأة المتزوجة أكثر التسليات التى اخترعها الإنسان شططاً ، فخذ حذرك ! . هذا كل ما أقوله لك . خذ حذرك !

بارلو : لماذا ؟

ديكى : ستقيدك من يديك وقدميك ، وتضع طوقاً حول عنقك ، وتقودك أيان سارت، وستسألك كل يوم عشر مرات عما إذا كنت تحبها حقاً . وستثير ضجة فى كل مرة تحاول مفارقتها لترغمك على البقاء مدة أطول . وفى كل مرة تضع قبعتك على رأسك ستلزمك بتحديد ميعاد زيارتك التالية .

بارلو : ولكن النساء جميعهن يفعلن هذا ، وهو دليل على إعجابهن بك .

ديكى : نعم ، أظن أن النساء جميعاً يفعلن هذا ، ما عدا پين ، فهى لا تهتم أبداً . إنها لا تسألك قط عما إذا كنت تحبها ، ولا تستبقيك أبداً حين تريد الانصراف ، ولا تصر على معرفة كل تحركاتك . وإذا غادرتها لا توجه إليك بحال ذلك السؤال الشيطانى الذى لا مهرب منه : فى أية ساعة ستعود ؟

بارلو : لو أن زوجتى يابنى كانت غير مبالية بى إلى هذا الحد لسألت نفسى عمن يكون الرجل الآخر .

ديكى : بالله ماذا تقصد بذلك ؟

بارلو : يا عزيزى ديكى ، إن من طبع المرأة الغلو فى مطالبها ، فهى إذا أحبتك أصبحت دائماً مصدر إزعاج . . . ومصدر إزعاج مبهج كل الإبهاج فى نظرى ، وأنا أحبه .

ديكى : أنت لا تشير إلى أن پينيلوپى ...

بارلو : يا ولدى العزيز ، أنا لم أحضر لأحدثك عن پينيلوپى ، ولكن عن صحتى أنا .

ديكى : [متضجراً] أوه ، أنت مصاب بتشحم

مزمن . هذا هو كل ما تكابده .

بارلو : يا إلهي ، هذا يبدو مزعجاً للغاية . وماذا أصنع لعلاجه ؟

ديكي : [بعنف وسرعة] دع الخمر والكحول والمسكرات والخبز والزبد واللبن والقشدة والسكر والبطاطس والجزر والقنبيط والبازلاء واللفت والأرز والساغ والطبيوقة والمكرونة والمربى والعسل والمارملاد .

بارلو : ولكن هذا ليس علاجاً بل قتل !

ديكي : [دون التفات لما قيل] البس صداراً صوفياً واجر حول المتنزه كل صباح قبل الإفطار . دعني ألق نظرة على كبدك .

بارلو : ولكن ، يا عزيزي ديكي ...

ديكي : تمدد على هذا المقعد المستطيل ، ولا تثر ضجة بسبب ذلك ، فأنا لن أقتلك . [يرقد بارلو على المقعد] ارفع ركبتيك .

بارلو : [بينما يتحسس ديكي كبده] إنها امرأة رائعة باهرة الحسن ... هذا ما لا شك فيه .

ديكي : استرخ تماماً . . . من هي المرأة الرائعة الباهرة الحسن ؟

بارلو : السيدة فيرجسون .

[ديكى يجفل ، ويحدج بارلو بنظرة ، ثم يبتعد فاغر الفم]

بارلو : ديكى ، ديكى .

[يغادر المقعد منزعجاً انزعاجاً شديداً]

بارلو : أكبدى فى حالة سيئة جداً ؟

ديكى : [شارد الذهن للغاية] إنهافى حالةشنيعة وكنت أتوقع ذلك .

بارلو : [بنبرة حزينة] صارحنى بالحقيقة على الفور يارتشارد .

ديكى : [فى صبر نافد] لا تكن حماراً عجوزاً . فإن كبدك سليمة مثل كبدى . وليس بك من شئ إلا أنك تسرف فى الطعام ، ولا تقبل على الرياضة بقدر كاف .

بارلو : [مداهناً] يخيل إلىّ أن على الإنسان أن يدفع ثمناً لكونه أشهر آكل خارج بيته فى زمنه .

ديكى : [يحدجه بنظرة حادة] أهى السيدة فيرجسون التى تقول عنها إنك أحدثت فى نفسها بعض الأثر ؟

بارلو : [راضياً عن نفسه كل الرضا] أنا يا صديقى العزيز آخر من يفشى سر امرأة .

ديكى : آه !

بارلو : أسألك فيما بيننا يا ديكى ، أتظن أن السيدة فيرجسون تجد أن الأمر شاذاً إذا دعوتها إلى تناول الغداء معى فى كارلتون على انفراد ؟

ديكى : شاذاً ! إنها تقفز طرباً لذلك .

بارلو : أتظن أن زوجها يمانع ؟

ديكى : أوه ، لا بأس من زوجها ، فهو ماض فى خدمة وطنه بشجاعة فى بلد أجنبى .

بارلو : هذا دليل على أن لها طبيعة لطيفة ، وإلا لما جاءت إلى پينيلوپى تسألها عما إذا كانت تمانع فى سفركما معاً إلى باريس .

ديكى : نعم ، إن لها طبيعة طريفة .

بارلو : إنك لجرو محظوظ . وددت لو أرحل معها إلى باريس .

ديكى : [بحرارة] وددت لك ذلك .

بارلو : ها ، ها . حسناً ، حسنا . لابد لى من الانصراف الآن على عجل فسأتناول طعام العشاء خارج بيتى كالعادة . إن هؤلاء الدوقات الطيبات لا يتركننى وشأنى . طبت مساء .

[يخرج . ويظل ديكى يذرع الغرفة ذهاباً وإياباً

مفكرا . وبعد لحظة تطلّ پينيلوپى برأسها]

پينيلوپى : ياعزيزى ، أما آن أن تعد حقيبتك للسفر .

ديكى : ادخلى ولندخن لفافة سويا .

پينيلوپى : سمعاً وطاعة .

[تتناول سيجارة فيشعلها لها]

پينيلوپى : أرجو أن تمضى وقتاً ممتعاً فى باريس

[تجلس]

ديكى : أنت لا تجلسين أبدا على ذراع مقعدى كما اعتدت أن تفعلى .

پينيلوپى : أخشى أن أكون قد جاوزت مرحلة الشباب ، فأنا أجد أن جلوسى فى مقعد خاص بى يتيح لى راحة أوفر كثيراً .

ديكى : [يحاول أن يخفى حيرة خفيفة] ألم تدهشى نوعا ما عندما أخبرتك السيدة فيرجسون أنها ستسافر الليلة إلى باريس

پينيلوپى : أدْهَش !

[تضحك پينيلوپى ضحكة صغيرة ، وتحاول أن تكتمها ، ولكنها لا تستطيع ، فتنفجر مستسلمة فى جلجلة من الضحك بعد جلجلة . ويلاحظها ديكى بدهشة متزايدة]

ديكى : أى شىء فى الوجود يضحكك ؟

بينيلوپى : [ممعنة فى الضحك] يا عزيزى ، لابد أنك تظننى بلهاء . لقد كنت أعلم بالطبع أنكما ستسافران معا .

ديكى : [يفزع كل الفزع] أنا لا أعرف عم تتحدثين.

بينيلوپى : حاولت أن أغضى الطرف فلا أرى شيئا ولكنك جعلت ذلك شديد الصعوبة .

ديكى : [معتزماً أن يبدو متشامخاً] أتتكرمين وتفصحين عن قصدك —

بينيلوپى : يا عزيزى ، أنا بالطبع أعرف كل شىء عن الموضوع .

ديكى : أنا عاجز كل العجز عن معرفة قصدك . ما هذا الذى تعرفين كل شىء عنه ؟

بينيلوپى : أعرف كل شىء عنك وعن أدا يا أبله .

ديكى : [ممعناً فى التشامخ] پينيلوپى ، أتعنين أنك ترتابين فى أنى ... ؟

بينيلوپى : [بابتسامة حب] يا حبيبى !

ديكى : [ينزعج فجأة] ماذا تعرفين ؟

بينيلوپى : كل شىء .

[يشهق ، وينظر إلى بينيلوبى فى قلق]

بينيلوپى : كنت أجد تسلية كبرى فى مراقبتكما خلال الشهرين الماضيين .

ديكى : تسلية ؟
پينيلوپى : لقد كان فى الحق ممتعاً كأنه مسرحية ؟
ديكى : [فى حيرة تامة] أكنت تعلمين طوال الوقت؟
پينيلوپى : يا عزيزى ، ألم تر أنى فعلت كل شىء فى الوجود لأجمعكما معا ؟
ديكى : ولكنى أؤكد لك أن ما تتحدثين عنه ليس فيه كلمة صحيحة .
پينيلوپى : [مداعبة] قل الحق يا ديكى !
ديكى : ولكن لماذا ظللت ساكتة لا تتكلمين ؟
پينيلوپى : ظننت أن الكلام إنما يربكك . وأنا لم أقصد أن أقول شيئاً اليوم أيضاً ، ولكنى لم أستطع أن أمنع نفسى من الضحك عند ما سألتنى عما إذا كنتُ دُهشت ...
ديكى : ألست غاضبة ؟
پينيلوپى : غاضبة ؟ ومم أغضب ؟
ديكى : ألست غَيْرَى ؟
پينيلوپى : غيرى . لا بد أنك تظننى حمقاء .
ديكى : أنظرتِ إلى ما حدث على أنه أمر عادىّ . وتسلّيت به . وكان ممتعاً كأنه مسرحية .
پينيلوپى : يا عزيزى ، لقد دام زواجنا خمس سنوات . ومن السخف الظن بأن يحدث

شيء بيننا بعد هذه المدة الطويلة .

ديكي : أوه ، أهكذا . أنا لم أتنبه لهذه الحقيقة .

پينيلوپي : المسألة كلها بدت فى نظرى بلا أهمية ، وقد سرنى أن أعتقد أنك سعيد .

ديكي : [يثور ثائره] حسناً ، أظن ذلك أمراً شائناً حقاً يا پينيلوپي .

پينيلوپي : أوه ، يا عزيزى ، لا تغال . إنها كانت هفوة لا ضير منها .

ديكي : أنا لا أتحدث عن سلوكى ، ولكن عن سلوكك أنت .

پينيلوپي : سلوكى أنا ؟

ديكي : نعم ، وأنا أسميه سلوكاً فاضحاً .

پينيلوپي : [فى خيبة أمل تامة] لقد ظننته لبقاً للغاية .

ديكي : سحقاً للباقة . لا بد أنك مجردة من كل شعور باللياقة .

پينيلوپي : يا عزيزى ، أنا لم أفعل شيئاً .

ديكي : هذه هى المسألة بالضبط . كان عليك أن تفعلى شيئاً . كان عليك أن تشعلى ثورة... كان عليك أن تثيرى المشاجرات ، وأن تطلبى الطلاق. أما جلوسك ساكنة ،

وتركك الأمور تجرى فى مجراها وكأن شيئاً لم يحدث، فهو تصرُّف فظيع .

پينيلوپى : أنا جِدّ آسفة . ولو علمت أنك تريدنى أن أثير شجاراً لفعلت دون شك . بيد أن الأمر لم يبد فى الواقع جديراً بإثارة الضجيج حوله .

ديكى : أنا لم أسمع قط بمثل هذا التجرد من العاطفة ، هذا التبلد ... هذه الكلبية .

پينيلوپى : إن إرضاءك عسير .

ديكى : ولكن ألا تدركين أنى عاملتك معاملة شنيعة ؟

پينيلوپى : أوه ، لا. إنك كنت دائماً خير الأزواج وأعقلهم .

ديكى : لا ، لقد كنت زوجاً سيئاً . وإن لى من الرجولة ما يكفى للاعتراف بهذا . وفى نيتى أن أبدأ صفحة جديدة ياپينيلوپى . سأتخلى عن أدا ، وأعدك ألا أراها بعد ذلك أبدا .

پينيلوپى : ياعزيزى ، لماذا تسبب لها شجنا لا داعى له ؟ وهى على أية حال صديقة قديمة لى، وأظن أن أقل ما أتوقعه منك أن تحسن

معاملتها .

ديكى : أتعنين بهذا أنك تريدين استمرار مانحن عليه؟

پينيلوپى : إنه ترتيب يوافقنا نحن الثلاثة . فالأمر يسليك ، فإن «أدا» ستجد من يصحبها خارج بيتها ، وأنا أحصل على قدر كبير من الأثواب الجديدة .

ديكى : الأثواب ؟

پينيلوپى : نعم . فقد كنت أواسى قلبي الموجع بملء خزانة ملابسى .

ديكى : أنت تريدين إذن تضحية سعادتنا بأسرها فى سبيل أثوابك ! أوه ، إنى غدوت أفعى بين جوانحى ... لعلى سلكت سلوك وحش ضار ، ولكنى وحق الشيطان أميز بين الصواب والخطأ ، إن عندى إحساسا بالفضيلة .

پينيلوپى : يبدو أنه أزاح إحساسك بالفكاهة وحل محله .

ديكى : أتعلمين أنى عانيت وخز الضمير خلال هذه الأسابيع كلها ؟ كنت أقول لنفسى كل يوم إنى أعاملك معاملة مخجلة . إنى لم أنعم بلحظة سعادة واحدة ، وكأننى كنت راقداً فوق آلة تعذيب .

بينيلوبى : ولكن لا يبدو أن هذا أثَّر تأثيراً خطيراً فى صحتك .

ديكى : وهأنت ذى كنت تضحكين منى فى سرِّك طوال الوقت . . . يستحيل أن تستمر هذه الحال .

بينيلوبى : لا أرى فى الحق ما يدعو لعدم استمرارها .

ديكى : لقد أخطأ كل منا فى فهم الآخر . فما أنا بالرجل الذى يحتمل مثل هذا الموقف بغير مبالاة . وقد أخطأت فهمك يابينيلوبى فقد كنت أظن أنك تحبيننى .

بينيلوبى : أنا متيَّمة بك .

ديكى : هذه طريقة جميلة لطيفة لإظهار ذلك .

بينيلوبى : ما كنت أظنها كذلك .

ديكى : إنك امتهنت كل عاطفة طيبة فى طبيعتى .

بينيلوبى : وماذا تعتزم أن تفعل إذن ؟

ديكى : سأفعل الشئ الوحيد الممكن ، وهو الانفصال عنك .

بينيلوبى : [تسمع أصواتاً فى الردهة] ها هما أبى وأمى لقد قالا إنهما سيعودان .

ديكى : ليتهما لا يكشفان أبدا ما فيك من شر

وقسوة ؛ وإلا لبعث هذا الكشف بشيخوختهما إلى القبر فى حزن مرير .

پينيلوپى : ولكنهما لا يجهلان من الأمر شيئا ياعزيزى.

ديكى : ماذا ! أليس هناك أحد يجهله ؟

پينيلوپى : إننا كتمناه عن خالى داڤينپورت . فهو رجل عملى ، وليس له إدراك للفكاهة .

[تدخل پيتون لتعلن قدوم جولايتلى وزوجته ، ثم تخرج]

پيتون : البروفسور جولايتلى والسيدة جولايتلى .

[يدخل الزوجان]

پينيلوپى : [تقبل السيدة جولايتلى] كيف الحال ياأمى... يا أبى ! يريد ديكى أن ينفصل عنى لأنى أرفض الطلاق منه .

جولايتلى : هذا لا يبدو منطقياً جداً .

السيدة جولايتلى : ماذا حدث ؟

پينيلوپى : لم يحدث شىء . وأنا لا أستطيع أن أتبين سبباً يدعو ديكى إلى كل هذا الغضب .

ديكى : [ساخطا] أليس هناك من سبب !

پينيلوپى : أنا لم أرد أن أقول شيئاً عن الأمر ، ولكن ديكى اكتشف أننا كنا على علم بتفاصيل مغامرته الغرامية الصغيرة .

جولايتلى : ما أبعد ماصنعت عن اللياقة ياعزيزتى ! ، إن الرجل يحب أن يُبقى هذه الأمور خافية على زوجته .

ديكى : وهل تعرف الموقف الذى تقفه پينيلوپى من الأمر ؟

جولايتلى : [فى رقة] أوه ، ألست تبالغ يا ولدى العزيز فى تقدير إساءتك ؟

ديكى : ليس لى أى عذر فيما ارتكبت .

جولايتلى : كانت المسألة تافهة . ولو أخذتها پينيلوپى مأخذ الجد لدل ذلك على أن روح الفكاهة تعوزها على نحو مؤسف .

ديكى : أتعنى أنك توافقها ؟ ...

جولايتلى : ياصديقى العزيز ، نحن فى القرن العشرين.

ديكى : أوه ! أيتها السيدة جولايتلى ، أنت تنفقين وقتك فى هداية الوثنيين ، فهلا ترين أن أسرتك فى حاجة إلى بعض عنايتك ؟

[تغمز پينيلوپى للسيدة جولايتلى فى خفية عن ديكى لتحملها على مواصلة تمثيل المشهد]

السيدة جولايتلى : إن درايتى الطويلة بالشعوب البربرية دلتنى على أن الرجل حيوان مزواج بطبعه .

ديكى : إن رأسى يدور .

السيدة جولايتلى : أعترف أنى شعرت بالفرح إذ سمعت أنها متزوجة فهذا يجعل العلاقة تبدو أدعى إلى الاحترام .

ديكى : يخيل إلىّ أنى الرجل الوحيد المتمسك بالأخلاق هنا .

پينيلوپى : ديكى ، عزيزى ... أنا لم يكن لى قصة غرام مع ذلك الشرطى .

ديكى : ليت ذلك حدث . فعندئذ كنت لا أعاملك بمثل معاملتك .

پينيلوپى : لقد فكرت فى الأمر ، ولكن شاربه لم يعجبنى .

ديكى : لست أجهل أنى أستحق اللوم ، وأنى سلكت سلوك وحش بهيم

پينيلوپى : أوه ، هراء .

ديكى : لا تعارضينى يا پينيلوپى . أنا أخجل من نفسى كل الخجل .

جولايتلى : هونا ، هونا !

ديكى : أكرر القول إنه لا عذر لى .

السيدة جولايتلى : يا للمسكين ، يبدو أنه متأثر جداً من فعلته .

ديكى : إنى لا أجد رجلين تحملانى ، ولكنى أقسم أن لدىّ إحساساً بالفضيلة وأقول لكم

جميعاً إنى ساخط كل السخط ، فأنتم تهدمون أركان المجتمع . وأيا كان ما ارتكبت فإنى أكن لقدسية البيت ، ولكرامة الحياة العائلية احتراماً يفوق ما تكنونه لهما كلكم مجتمعين .

[يندفع نحو الباب ، ثم يقف ، ويدور ليهز قبضته فى وجوههم]

ديكى : إحساس بالفضيلة ... هذا هو ما يميزنى عنكم . [يخرج ويخبط الباب وراءه]

پينيلوپى : [بابتسامة] يا للحبيب المسكين !

جولايتلى : أى شىء دعاك إلى التعجل فى كشف الأمر كله ؟

پينيلوپى : لقد حضرت إلى هنا اليوم ، ورأيت أنه سئم منها غاية السأم .. أمى ، إنك سلكت مسلك بطلة من بطلات القصص .

السيدة جولايتلى : إنى لن أغتفر لنفسى أبدا نطقى بتلك العبارات الشنيعة التى حملتنى على قولها .

پينيلوپى : أوه ، نعم ، ستغتفرين لى ذلك ياأمى . فما هو إلا أن تزيدى صيامك يوماً فى الصوم الكبير القادم ، فهذا يفيد روحك وقوامك على حد سواء .

السيدة جولايتلى : پينيلوپى !

پينيلوپى : [إلى جولايتلى] شعرت فجأة بأن اللحظة الحاسمة قد حانت .

جولايتلى : حذار .

[يندفع ديكى إلى الغرفة فى عنف]

ديكى : خبرينى . ماذا تفعــل هاتان المرأتان اللعينتان فى الردهة ؟

پينيلوپى : أية امرأتين ؟ أوه ، عرفت . . . [تتجه إلى الباب] تفضلا بالدخول لقد جاءتا من قبل فرنسواز الحائكة .

[تدخل الفتاتان وهما تحملان صناديق قبعات]

پينيلوپى : لقد قلت لى إنى أستطيع شراء قبعة أو قبعتين لأواسى نفسى عن سفرك إلى باريس .

جولايتلى : هذا ظريف منك يا ديكى . وهو يدل على أنك لست أنانىّ الطبع .

[تغمز پينيلوپى لأمها مرة أخرى]

السيدة جولايتلى : أنت لم تسمح لى قط يا تشارلز أن أشترى قبعات كما أشاء .

جولايتلى : وأنا من الناحية الأخرى لم أقم برحلات قصيرة إلى باريس يا عزيزتى دون أن أصحبك .

السيدة جولايتلى : بعض النســاء موفّقات كل التوفيق فى زواجهن .

[تخرج الفتاتان القبعات خلال ذلك ، وتلبس پينيلوپى قبعة ، وتغتبط اغتباطاً شديداً]

پينيلوپى : أوه ، أليست رائعة؟ (تنظر إلى القبعة الثانية) أوه ، أوه ! .. أرأيت شيئاً أجمل من هذا ؟ إنك لظريف يا ديكى ، وأنا فرحة جداً لسفرك إلى باريس .

ديكى : [بعنف] لن أذهب إلى باريس .

پينيلوپى : ماذا ؟ !

ديكى : اذهبا بهذه القبعات جميعها .

پينيلوپى : ولكن السيدة ماك ؟

ديكى : السيدة ماك تستطيع الذهاب إلى الشيطان .

[يتناول سماعة التليفون]

ديكى : هاللو ، هاللو . چيرارد ١٢٣٤ . أخبر السيدة فيرجسون أن السيدة ماك أصيبت بنكسة ، ولن تستطيع الرحيل إلى باريس الليلة .

نهاية الفصل الثانى

الفصل الثالث

المنظر

مخدع پينيلوپى ، وهو غرفة جذابة ،
مكسوة الأثاث بقماش زاهى الألوان ،
وبهيجة بما فيها من أزهار الخريف وباقات
الأوراق العريضة . وهناك مرآة كبيرة .
وهى غرفة جديرة بالعيش فيها ، وفى
الغرفة هنا وهناك كتب ومجلات ، وصور
فوتوغرافية لديكى تمثله فى كل وضع
متصور .
وتقف پينيلوپى وحدها وسط الغرفة وهى
فى ثوب فتان ، وتنظر فى المرآة ، وتدور
مبتسمة عن رضا ، وتصلح من شأنها ،
وترى فجأة شيئاً لا ترتاح إليه تماماً ،
فتقطب قليلا ، وتلوى وجهها سخرية ،
وتنحنى فى تأنق ووقار ، ثم ترسل لنفسها
قبلة فى جذل .

[تدخل بيتون ويتبعها جولايتلى وزوجته]

بيتون : البروفسور والسيدة جولايتلى .

پينيلوپى : [تبسط ذراعيها] أوه ، يا أمى التقية !

السيدة جولايتلى : [مبهورة الأنفاس] لم أصعد طوال حياتى سلماً ، بهذا الطول .

پينيلوپى : قلت لبيتون أن تصعد بكما إلى هنا حتى لا يأتى أحد ويضايقنا [وبحركة مسرحية] يا أبى النبيل !

جولايتلى : طفلتى !

السيدة جولايتلى : لا تكونى مضحكة يا پين .

پينيلوپى : اجلسى يا أمى ، واسترجعى أنفاسك لأنى سأقطعها مرة أخرى .

السيدة جولايتلى : لا يبدو أن هناك ما يستحق ذلك .

پينيلوپى : ديكى يعبدنى .

السيدة جولايتلى : أهذا كل ما هنالك ؟

پينيلوپى : ولكنه أعجب الأمور فى الحياة ، وأشدها لذة وإدهاشاً . وأنا الآن فى السماء السابعة لفرط ابتهاجى .

جولايتلى : ولكن ، أقال لك ذلك ؟

پينيلوپى : أوه ، لا . فإننا لم نعد إلى التخاطب حتى الآن .

جولايتلى : آه ، أظنكما تعبرّان عن عواطفكما المتبادلة بالتمثيل الصامت .

پينيلوپى : لقد خرج ليلة أمس عقب انصرافكما مباشرة ولم يعد إلا بعد منتصف الليل . وسمعته يقف أمام باب غرفتى ،فدسست نفسى بين أغطية فراشى ، وتظاهرت باستغراق فى النوم ، ولكنى تركت يدى تتدلى فى إهمال إلى جانب سريرى . وبعد ذلك دق الباب دقة خفيفة ، ولما لم أجب دخل الغرفة ، وأقبل على أطراف أصابع قدميه ، ونظر إلى كأنه — كأنه يود لو يلتهمنى .

جولايتلى : پينيلوپى ، أنت تشطحين فى الخيال . فكيف بالله تستطيعين معرفة ذلك ؟

پينيلوپى : [تضع أصبعها خلف رأسها] رأيتـــه من مؤخرة رأسى — من هنا . ثم انحنى واكتفى بأن لمس يدى بشفتيه [تبدى يدها لجولايتلى] أنظر ، هنا قبلها ، بين الراحة والأصابع بالضبط .

جولايتلى : [ينظر فى يدها بجد] يبدو أن القبلة لم تترك أثراً .

پينيلوپى : لا تكن ساذجاً – ثم زحف فى هدوء إلى خارج الغرفة ثانية ، واستغرقتُ فى أول نعاس عميق حقاً نعمت به منذ شهر . وقد تناولت طعام الإفطار صباح اليوم فى فراشى ، وعند ما غادرت الفراش كان ديكى قد خرج .

السيدة جولايتلى : ألم تريه اليوم قط ؟

پينيلوپى : لا ، فهو لم يحضر لتناول الغداء .

السيدة جولايتلى : أنا شاكرة يا تشارلز لأنك لم تظهر لى حبك بابتعادك عنى بصورة منظمة .

پينيلوپى : ولكن الأمر فى غاية البساطة يا عزيزتى . إنه بالطبع غاضب جداً ، فقد أشعرته بأنه شديد البلاهة ، وهو يمقت ذلك . ولكن يا إلهى ! إننى الآن ، بعد عشرتى له خمس سنوات ، أعرف كيف أعامله بعد أن جرحت كبرياءه ولم يبق إلا أن أتيح له فرصة لإنقاذ ماء وجهه ، ثم يرتمى كل منا فى حضن الآخر ، ونعيش بعد ذلك سعداء إلى ما شاء الله .

[يسحب جولايتلى ورقة من فوق منضدة كان

يجلس قريباً منها ، ويأخذ فى الكتابة على الفور وهو يتأمل]

السيدة جولايتلى : ولكن ، لا تضيعى الوقت النفيس يا عزيزتى ، وصليه دون إبطاء .

پينيلوپى : لا ، أنا أوفر حكمة من أن أقدم على ذلك . إنى لن أقدم على شيء حتى أراه قد تخلص من أدا فيرجسون كلية .

السيدة جولايتلى : ألم تريها أخيراً ؟

پينيلوپى : لا ، ولكنى أتوقع حضورها فى أية لحظة

السيدة جولاتيلى : [بشهقة] حضورها هنا ؟

بينيلوبى : حادثتنى الليلة الماضية تليفونياً فى صوت عميق كهذا [تحاكى نبرات صوت الرجل] حتى لا أعرف أنها المتكلمة ، وسألت عما إذا كان ديكى موجوداً فى المنزل ، وأجبتها بأنه غير موجود . فقالت [تحاكى صوت الرجل من جديد] أتسمحين أن تسأليه على أثر وصوله أن يتصل بالسيدة ماك تليفونياً ؟ . فقلت أوه ! أظنه عند السيدة ماك يقضى المساء كله . وأنهيت المحادثة بسرعة . وفى هذا الصباح رفعت سماعة التليفون ، وتركتها مرفوعة ،

وأحسب أن «أدا» لا بد أن تكون الآن فى
حالة عصبية شديدة .

[يقع نظرها على جولايتلى فتتجه إليه لترى
ما يكتب]

پينيلوپى : [تضرب المنضدة براحتها فى حدة] ١ + ١
لا يساوى ثلاثة يا أبى .

جولايتلى : أنا لم أقل ذلك قط يا عزيزتى .

پينيلوپى : لماذا إذن تكتبها كذلك ؟

جولايتلى : لأنه يبدو لى أنك تعتقدين ذلك ، وأنا
أقدر فطنتك أكبر تقدير .

پينيلوپى : ليتك اخترت أباً لأولادك لا يغيظ الناس
هذه الإغاظة يا أمى ، إن كان وجوده
ضرورة فى نظرك .

[جولايتلى لا يحير جواباً ، ويجمع ١+ ١ فى
هدوء ، وتظل پينيلوپى تلاحظه برهة]

پينيلوپى : أتظننى بلهاء للغاية يا أبتى ؟

جولايتلى : نعم يا عزيزتى .

پينيلوپى : لماذا ؟

جولايتلى : أنت تُعدين لديكى من جديد أكلة فراولة
مثلجة لا تتغير .

[تذهب بينيلوبى إلى أبيها ، وتجلس تجاهه ،
وتأخذ القلم من يده]

پينيلوپى : دع هذا القلم يا أبى ، وخبرنى ماذا تعنى

جولايتلى : [يضم يديه ، ويميل بمقعده إلى الخلف] كيف ستحتفظين بحب زوجك بعد أن استعدته الآن ؟

پينيلوپى : [بإيماءة وابتسامة] لن أضايقـــه قط بإظهار دلائل الحب ، ولن أسأله أبداً عما إذا كان يحبنى ، ولن أسأله قط عن موعد رجوعه كلما خرج .

جولايتلى : [فى هدوء] وماذا ستصنعين فيما إذا ارتمت عليه الأرملة الغضة الحسناء التالية ؟

پينيلوپى : [أقرب إلى الثورة لمجرد الفكرة] آمل أن يخفض رأسه ويتفاداها .

جولايتلى : [يهز كتفيه بقصد الاعتذار] أخبرتك أمك ، استناداً إلى معرفتها المنقطعة النظير بالشعوب الوثنية ، أن الرجل حيوان مزواج بطبعه .

السيدة جولايتلى : لن أغتفر لنفسى ذلك قط .

پينيلوپى : أتعنى أنك تتوقع من ديكى أن يغازل ، نصف دستة ، من نساء مختلفات ؟

جولايتلى : لست أرى إلا وسيلة واحدة لتفادى ذلك.

پينيلوپى : وما هى ؟

جولايتلى : كونى أنت نصف دستة من نساء مختلفات .

پينيلوپى : هذا يبدو مرهقاً جداً .

جولايتلى : لا تنسى أن الرجل صياد بطبعه ، ولكن كيف يستطيع الفرار إذا كنت ترتمين طوال الوقت فى حضنه ؟ فحتّى الدجاجة تسمح لأليفها الشرعى بمبارحتها ليتزود .

[تنقل پينياوپى نظرها من أبيها إلى أمها ، وتطلق زفرة قصيرة]

پينيلوپى : كم كان من السهل علىّ أن أحبه وأجله وأطيعه ! وكم كان ذلك ممتعاً ! ولكن لم يخطر ببالى أنه كان على مراقبة مشاعرى .

جولاتيلى : كلنا نجاهد فى سبيل السعادة ، ولكن ماذا تكون السعادة لو أنها تشبثت بنا تشبث أحد أقربائنا الفقراء ؟

پينيلوپى : [تومىء برأسها] فراولة مثلجة للإفطار ، فراولة مثلجة للغداء ، وفراولة مثلجة مع الشاى .

جولاپتلى : لو أنك علّقت بالحائط لوحة للرسام رامبرانت لمررت بها بعد أسبوع واحد دون أن تلتفّى إليها .

پينيلوپى : [تمد يديها متوسلة] أبى ، لا تحطمنى باستعاراتك .

جولايتلى : [بابتسامة] حسناً ، إنك أرخصت حبك حتى جعلته زهيداً جداً يا عزيزتى ، كان عليك أن تدعى زوجك يستجديك الحب ، ولكنك جعلت من حبك سلعة بائرة . احرصى على ثروتك ولا توزعيها إلا بمقدار ، واجعلى من نفسك حصناً يجب أن يقتحمه زوجك كل يوم من جديد . وإياك أن تدعيه يحسب أنه استأثر بقلبك كله ، إذ يجب أن يظن دائماً أن فى قرارة نفسك جوهرة باهظة الثمن فوق متناوله .

پينيلوپى : أتعنى بذلك أن أظل دائمة الحيطة ؟

جولايتلى : المرأة الحكيمة لا تمكن زوجها قط من أن يطمئن إليها كل الاطمئنان . ففى اللحظة التى يبلغ فيها هذا الاطمئنان الكامل يلبس كيوبيد قبعة عالية ، وينقلب إلى حارس كنيسة .

پينيلوپى : [بصوت أبح] أتظن الأمر يساوى كل هذا العناء ؟

جولايتلى : هذا سؤال لا يستطيع غيرك الإجابة عليه .

پينيلوپى : أحسبك تعنى أن الأمر يتوقف على مقدار حبى لديكى .[تتوقف فترة ، وتستأنف القول بصوت مرتعش] إنى أحبه من صميم قلبى ، وإذا كنت أستطيع الاحتفاظ بحبه فلا شىء يغلو فى تلك السبيل . [تريح وجهها فوق يديها، وتشخص ببصرها إلى أمام ، ويمتلىء صوتها دموعاً] ولكن لم لا نستطيع يا أبى أن نعيد سيرتنا الأولى عند ما كان كل منا يهوى صاحبه دون تفكر فى حكمة أو تبصر ؟ ذلك كان الحب الحقيقى ، فلم لم يدم ؟

جولايتلى : [بحنان] لأنك لست أنت وديكى إلا زوجاً وزوجة يا عزيزتى .

پينيلوپى : [تعاودها ومضة من تفكيرها القديم] ولكن لصديقاتى أزواجاً ، وهم لا يغازلون كل امرأة جميلة يصادفونها .

جولايتلى : ما أشبه هؤلاء بـ « سيليا » و«شاريبديس» والضريبة التى يؤدونها هى الشبع . فهل تفضلين مكابدة ذلك الفتور الهادىء الذى يكابده كل تسعة أزواج من عشرة ، أم

بقاء ديكى محباً لك حباً حاراً إلى آخر أيامه نظير بـَذْلِـكِ قليلا من التعب ، وقليلا من الفطنة ؟

پينيلوپى : [بغمزة خبيثة] ولكن لا يبدو عليك أنت وأمى دليل على أن كلا منكما قد سئم صاحبه وضاق به ذرعاً .

جولايتلى : أملك التقية ظلت تخوننى بانتظام طوال عشرين عاما .

السيدة جولايتلى : تشارلز !

جولايتلى : كانت لها قصة حب مع « جمعية الكهنة الإضافيين » ، ومغامرة مع « إرسالية الكنيسة الإنجليزية » ، وقد غازلت « جمعية العلم المسيحية » ، وكانت تغمز بعينها « للعلاج بالأدوية المجانية للمرضى » ، وارتبطت « بالنباتية » ارتباطاً ترك فى وجهها أثراً واضحاً ، فكيف أعشق امرأة على مثل هذا الغىّ ؟

السيدة جولايتلى : [مداعبة] إنها لكبيرة منك يا تشارلز أن تؤنبنى بينما ظللت أنت سنوات عديدة ولك « حريم » من الرموز الجبرية .

پينيلوپى : [ترفع يديها فى اشمئزاز مفتعل] وأنا التى لم

أدرك أبداً مبلغ ماعليه أبواى من فساد !

جولايتلى : [يربت على يد زوجته] أظن أننا لا بد أن نكون الزوجين السعيدين يا عزيزتى ، فقد مضى على زواجنا عشرون عاماً . .

پينيلوپى : [تقاطعه] اجعل المدة ربع قرن يا أبى ، فلا يمكن أن أبدو أقل من بنت أربعة وعشرين عاماً .

جولايتلى : [لزوجته] ويبدو أننا عشنا سوياً على وفاق ، أليس كذلك ؟

السيدة جولايتلى : [بحنان] كنت لى زوجاً طيباً يا عزيزى تشارلز .

جولايتلى : لقد صعدنا فى الجبل معاً . .

پينيلوپى : شش ! شش ! شش ! لا أستطيع أن أسمح لأبوىَّ أن يتغازلا فى حضورى . إنى لم أسمع بمثل هذا قط .

جولايتلى : نقدم اعتذارنا .

پنيلوپى : [تسمع صوتاً] اسمع . إنه ديكى . يا أبى — قل لى بسرعة ماذا يجب أن أصنع لأحمله على حبى دائماً ؟

جولايتلى : باختصار . نغصى عليه حياته .

پينيلوپى : [متحسرة] آه لو تعلم كم أود أن أرتمى

فى أحضانه وأنسى الماضى التعس !

جولايتلى : لا تفعلى ذلك ، ولكن أخبريه أنك ستقومين برحلة فى سيارة .

پينيلوپى : [مبتئسة] لنفرض أنه تركنى أرحل ؟

جولايتلى : يا عزيزتى إن الأقدار الرحيمة منحتك عينين خبيثتين ،ولساناً حاداً ،فاستعمليها.

السيدة جولايتلى : تشارلز ، سأحمد الله يوم تعود إلى رياضياتك . فإن أخلاق هذه الفاجرة « س » بلغت من السوء مبلغاً لا تستطيع أن تزيده .

پينيلوپى : الواقع يا أبى أن لك – بوصفك مرشداً للشباب – آراء متقدمة نوعاً .

جولايتلى : [بحركة مسرحية غريبة] أيتها الطفلة الناكرة للجميل ! ! وأنا الذى وهبتك قلبى ، كالبجع ، لتتغذى عليه .

[يدخل ديكى ، وقد بدا عليه شىء من الارتباك وعدم الاطمئنان]

ديكى : أأستطيع الدخول ؟

پينيلوپى : نعم ، تفضل !

ديكى : [ينحنى برأسه لجولايتلى] كيف حالك ؟

جولايتلى : [لزوجته] أ أنت مستعدة للانصراف ؟

السيدة جولايتلى : [تهم بالوقوف] نعم .

ديكى : أرجو ألا أكون السبب فى انصرافكم .

جولايتلى : أوه ، لا . فإننا جئنا لنمكث عشر دقائق فقط حتّى نودع بينيلوبى .

[يلقى ديكى على پينيلوپى نظرة سريعة وقد حيره هذا القول نوعاً]

ديكى : أأنت . . . ؟ [ويتوقف عن الكلام]

جولايتلى : أرجو يا عزيزتى أن تستمتعى بالرحلة .

پينيلوپى : أوه ، أنا واثقة من ذلك .

السيدة جولايتلى : وداعاً يا عزيزتى .

پينيلوپى : [تقبل أمها] وداعاً .

[تتجه إلى الجرس وتدقه]

جولايتلى : نستطيع أن نجد طريق الخروج وحدنا ، فلا تهتمى باستدعاء بيتون .

پينيلوپى : أريد محادثتها .

جولايتلى : أوه، فهمت [يحنى رأسه لديكى] وداعاً .

[يخرج جولايتلى وزوجته . وتضطجع پينيلوپى على المقعد المستطيل وهى تبتسم ابتسامة خفيفة ، وتتناول إحدى المجلات ، ولا تعير ديكى التفاتاً ، فيحدجها بنظرة جانبية ، ويسوى ربطة عنقه فى المرآة . تدخل بيتون]

پينيلوپى : [رافعة نظرها من المجلة] بيتون ،

تستطيعين أن تضعى لى بعض حاجيات السفر فى حقيبة الدكتور المفرطحة الصغيرة وضعى كذلك ثوبى الشرميز الأخضر .

بيتون : حسناً يا سيدتى .

پينيلوپى : وتستطيعين استدعاء عربة بعد نصف ساعة .

بيتون : حسنا يا سيدتى . [تخرج]

ديكى : أأنت راحلة ؟

پينيلوپى : أوه ، نعم . ألم أخبرك بذلك ؟

ديكى : [بجفاء] لا .

پينيلوپى : ما أغبانى ! المسألة أنى كنت أتوقع قضاء يومين أو ثلاثة أيام فى باريس مع أدا ، فرتبت القيام برحلة مع أسرة هندرسون إلى كورنوول .

ديكى : ولكنى عدلت عن رحلة باريس لئلا أضايقك .

پينيلوپى : [مبتسمة] ما كانت رحلتك لتضايقنى قط يا حبيبى .

ديكى : كان يجب أن تضايقك .

پينيلوپى : أخشى على أية حال ألا أستطيع التخلى عن ارتباطى بأسرة هندرسون . . فقد

كونوا فريقاً صغيراً لنستطيع أن نلعب البريدج فى سهراتنا .

[يتوجه ديكى إلى پين ويجلس على المقعد المستطيل بجوارها]

ديكى : اسمعى يا پين ، دعينا نصطلح .

پينيلوپى : [بلطف زائد] ولكننا لم نتشاحن ، أليس كذلك ؟

ديكى : [بابتسامة] لست أدرى أأريد أن أهزك أو أضمك !

پينيلوپى : حسناً ، لو كنت مكانك لما فعلت هذا أو ذاك .

ديكى : [يتناول يديها] پين . أريد أن أحادثك جدياً .

پينيلوپى : [تسحب يديها وتنظر إلى ساعة الحائط] ألديك متسع من الوقت ؟

ديكى : بالله ماذا تقصدين ؟

پينيلوپى : أنت تخرج عادة لزيارة السيدة ماك فى وقت يقارب هذا .

[ديكى يقف ، ويذرع الغرفة ذهابا وإيابا]

ديكى : [مصمما] السيدة ماك ماتت .

پينيلوپى : [تقفز من المقعد] ماتت ! ومتى الجنازة ؟

ديكى : لم يتحدد ميعادها بعد .

پينيلوپى : حسناً ، تستطيع أن ترسل الآن قائمة الحساب لأسرتها .

ديكى : [منفعلا] پين ، لم يكن للسيدة ماك وجود قط .

پينيلوپى : [بابتسامة] لم يخطر لى يا عزيزى أبداً أنها كانت موجودة .

ديكى : ماذا ! [تضحك بنيلوبى ساخرة] أتقصدين أن تقولى إنك كنت تعرفين طوال الوقت أنى اخترعتها ؟

پينيلوپى : إنى رأيت فى اختلاقك عذراً مقبولا لطول غيابك تصرفاً لطيفاً منك .

ديكى : كنت تستغفلينى إذن عند ما اشتريت تلك الأشياء جميعها بزعم أنى أكسب ذلك القدر الكبير من المال .

پينيلوپى : [يتوقف] وبعد . . .

[ينفجر ديكى ضاحكاً ضحكاً عالياً]

ديكى : اسمعى ، لقد انتصرت علينا . أقسم أنك امرأة لطيفة مدهشة . ولست أعرف أية ميزة رأيتها فى أدا فيرجسون !

پينيلوپى : أوه ، ولكنى أحسبها ظريفة .

ديكى : يا للهراء ! أنت عليمة بأنك لا تحسبينها

كذلك . آه لو تعلمين أية حياة أذاقتنى !

پينيلوپى : أظن أنها كانت تسألك غالباً عما إذا كنت تحبها حقيقة ؟

ديكى : عشر مرات فى اليوم الواحد .

پينيلوپى : وهل كانت تسألك عن موعد عودتك بالضبط كلما فارقتها ؟

ديكى : كيف عرفت ذلك ؟

پينيلوپى : حزرت .

ديكى : [يتجه إليها وكأنه يحاول احتضانها] آه ، يا پين ، دعينا ننسى ونغتفر ؟

پينيلوپى : [مبتعدة عن طريقه] ليس هناك ما نغتفره يا حبيبى .

ديكى : [يخطو صوبها خطوة] أظنك تريدينى أن ألعق التراب . . إنى سلكت سلوك وحش سافل ، وآسف على ذلك كل الأسف ، ولن أعود لمثله أبداً .

پينيلوپى : [تتحاشاه متظاهرة بأنها غير متعمدة] لعل المسألة لا تستحق هذا العناء .

ديكى : [يحاول أن يعترضها] لا تتحدثى عنها .

پينيلوپى : [تظل بعيدة عن متناوله] وكنت أتوهم أنك تقضى وقتاً ممتعاً جداً .

ديكى : كنت أشعر شعوراً مؤلماً بتأنيب الضمير .

پينيلوپى : هذا هو ما يمتاز به النساء على الرجال ، فإن ضميرهن لا يؤنبهن إلا يوم يفقدن رشاقتهن ورونقهن .

ديكى : [بابتسامة] ولكن ماذا يدعوك إلى الجرى حول الغرفة على هذا النحو المضحك ؟

پينيلوپى : ظننت أننا نلعب لعبة « المس أخيراً »

ديكى : لا تكونى قاسية يا پين . فأنت تدرين أنك تحبيننى ، وأنى أهيم بك هياما . . ولست أستطيع أن أصنع شيئاً فوق ما صنعت .

پينيلوپى : وماذا تريدنى أن أفعل ؟

ديكى : أريد منك تقبيلى ومصالحتى .

پينيلوپى : [فى لطف بالغ] أظنك تتعجل بعض الشىء ، أليس كذلك ؟

ديكى : أظن أنك تفكرين فى أدا فيرجسون .

پينيلوپى : أعترف بأنها لم تغب عن خاطرى كلية .

ديكى : سحقاً لأدا فيرجسون !

پينيلوپى : أظن أن فى هذا العقاب شيئاً من العنف ، فهى على أية حال لم تفعل شيئاً إلا إذعانها لفتنتك التى لا مهرب منها .

ديكى : حسناً ، ألقى بعبء اللوم كله على أكتافى .

وكأن الرجال هم الذين يجرون وراء النساء في تلك المناسبات ! أنا لا أريد أن أراها ثانية .

پينيلوپي : كم أنت متقلب !

ديكي : [يتجه صوبها بلهفة] أنا لن أتقلب ثانية . لقد تلقنت درسي . وسأكون مستقيما في المستقبل .

پينيلوپي : [تضع كرسياً بينها وبينه] ألا تظن أن من الأفضل ، على أية حال ، أن تتخلص من حبك القديم قبل البدء بحبك الجديد؟

ديكي : نعم ، ولكن يمكنك أن تعاونيني .

پينيلوپي : لا أحسبك تريدني مثلا أن أخبر أدا فيرجسون أنك لم تعد تحبها ؟

ديكي : إنه لمحرج للمرء جداً أن يقول شيئاً كهذا بنفسه .

پينيلوپي : أستطيع أن أدرك أن أهدأ النساء طبعاً تقابل ذلك بشيء من الاستياء .

ديكي : اسمعي ، ألا تستطيعين أن تشيري بشيء لتنتشليني من هذه الورطة ؟

پينيلوپي : [وهي تهز كتفيها] يا عزيزي ، ليس

هناك منذ أيام « أريادنى »[1] غير طريقة مرضية واحدة لمواساة الغادة المهجورة .

ديكى : [وهو يقفز] خالنا دافينبورت !

پينيلوپى : ما لخالى داڤينپورت ؟

ديكى : أخبرنى أمس أنه يراها امرأة رائعة جداً .

پينيلوپى : أوه ، لا يا ديكى . أنا لا أسمح لك بتضحية خالى الوحيد .

ديكى : سأطلبه على التليفون وأخبره بأنها لم تسافر إلى باريس .

پينيلوپى : لا يا ديكى . لا يا ديكى . لا يا ديكى !

ديكى : [عند التليفون] ميفير ٧٥٢١ . أعدك أنه لن يمسه أذى ، إذ سنخبره قبل أن ينقلب الأمر جداً بأنها ليست من أسرة جونز أوف لاندودنو ولكنها من أسرة جونز أوف نوتنج هيل جيت .

پينيلوپى : [بضحكة ساخرة] لا أظن ما تفعله تصرفاً لطيفاً .

ديكى : أظن أنه شنيع ، وسألوم نفسى عليه كثيراً بعد ذلك .

---

(١) ابنةمينوس ملك كريت .

پينيلوپى : يوازع من إحساسك بالفضيلة أيضاً .

ديكى : هاللو ، أأستطيع مخاطبة مستر بارلو ؟
أهو أنت يا خالى داڤينپورت ؟ لا ، أنا
لم أذهب إلى باريس رغم اتفاقى السابق
[بغمزة عين لپينيلوپى] أصيبت السيدة
ماك بنكسة مفاجئة ، ولم يعد نقلها ممكناً .
لا ، كذلك السيدة فيرجسون لم تسافر .
[تدخل پيتون]

پيتون : السيدة فيرجسون فى غرفة الاستقبال
يا سيدتى .

ديكى : [يتحدث بصوت منخفض فى التليفون] ماذا !
. . . نصف دقيقة . . . لا تقطع المكالمة .

پينيلوپى : كنت أتوقع حضورها طوال بعد الظهر ،
أطلبى إليها أن تصعد إلى هنا إذا لم تجد
مانعاً .

پيتون : سمعاً وطاعة يا سيدتى .

ديكى : لا بد مما ليس منه بد [فى التليفون]
هاللو لماذا لا تأتى إلينا ؟ السيدة فيرجسون
عند بين فى زيارة ، وتستطيع بذلك أن
تتفق معها على تناولكما الغداء معاً . . .
حسنا . إلى اللقاء . . . اسمعى ، سأهرب
الآن .

پينيلوپى : يا جبان !

ديكى : [يتظاهر بعزة النفس الشديدة] أنا لست جباناً يا پينيلوپى . سأعود بعد دقيقتين . ولكنى ظمآن ، وسأتناول كأساً من البراندى مع الصودا .

ديكى : سحقاً لهذا كله . لا داعى لأن تضنى علىّ بقبلة واحدة .

پينيلوپى : [مبتسمة] انتظر حتى تتخلص من حبك القديم يا صديقى .

ديكى : أظن أن الأمر يتجاوز الحد قليلا عند ما يمنع الرجل من تقبيل زوجته الحبيبة .

پينيلوپى : ستقبلنى فيما بعد ، إذا حسن مسلكك .

ديكى : ها هى ذى توشك أن تحضر ، من حسن الحظ أن يكون لهذه الغرفة بابان !

[يخرج . وتنهض پينيلوپى ، وتتطلع فى المرآة ، وترتب خصلة شاردة من شعرها ، وترش بعض البودرة على أنفها . تدخل أدا فيرجسون]

پينيلوپى : [تقبلها فى حرارة] يا أعز الأعزاء . . أرجو ألا يكون الصعود بك إلى هنا قد ساءك .

السيدة فيرجسون : لا بالطبع . فأنا أحب هذه الغرفة ، وكنت أعتقد دائماً أنها هى المكان الذى

يصلح بالضبط لحديث القلب للقلب .

پينيلوپى : ما ألطف هندامك !

السيدة فيرجسون : أيروقك ثوبى ؟

پينيلوپى : كنت أرى دائماً أنه يلائمك كل الملاءمة .

السيدة فيرجسون : [بمرارة] أنا ألبسه لأول مرة .

پينيلوپى : أوه ، أظن إذن أنى رأيت أناساً آخرين يرتدون أمثاله .

السيدة فيرجسون : لعلك ترين أنى أكثر من المجىء هنا يا عزيزتى .

پينيلوپى : أنت تعلمين أنى وديكى نسر دائماً بلقياك

السيدة فيرجسون : هل الدكتور أوفاريل موجود ؟ أردت أن أسأله عن شىء خاص بالدواء الذى وصفه لى أمس .

پينيلوپى : والآن لا تقولى إنك حضرت لرؤية ديكى فقد كنت آمل أن حضورك كان لرؤيتى .

السيدة فيرجسون : أردت أن أضرب عصفورين بحجر واحد

پينيلوپى : هذه رمية محكمة يرتاح لها المرء دائماً .

السيدة فيرجسون : نسيت ما إذا كنت قد قلت لى إن الدكتور أوفاريل موجود .

پينيلوپى : اسمعى ، أظنك الشخص الوحيد الذى

لم يناده باسم ديكى بعد أن عرفه لمدة عشر دقائق فقط .

السيدة فيرجسون : إذا ناديته بهذا الاسم فقدت ثقتى فيه بحسبانه طبيباً .

پينيلوپى : أنا نفسى لا أتداوى عنده ، بل أذهب دائماً إلى الدكتور روجزر .

السيدة فيرجسون : ولكنك تبدين كأنك فى صحة موفورة يا عزيزتى .

پينيلوپى : أوه ، أنا إنما ألح بالجهد و أن أقف على رجلى توفيراً لنفقات الجنازة .

السيدة فيرجسون : هل الدكتور أوفاريل بصحة جيدة ؟

پينيلوپى : متعب .

السيدة فيرجسون : [حائرة فى السبب] أوه ؟

[فترة صمت قصيرة]

السيدة فيرجسون : أظن أنه ليست لديك أية فكرة عن موعد عودته ؟

پينيلوپى : لم أكن أعلم أنه خرج .

السيدة فيرجسون : أوه ، أستميحك عذراً . ظننتك قلت إنه غير موجود .

پينيلوپى : لا .

السيدة فيرجسون : لا بد أنى أسأت فهم كلامك .

بينيلوبى : أظنه يرقد الآن . ولا غرابة فقد ظل ليلة أمس مع السيدة ماك المسكينة حتى الساعة الثانية عشر .

السيدة فيرجسون : [برجفة خفيفة] أكان هناك ؟

بينيلوبى : من المؤسف أن تصاب بنكسة بعد أن بدا أن صحتها تحسنت كل التحسن .

السيدة فيرجسون : [حائرة ، ولكنها تحاول إخفاء حيرتها] لا أستطيع التعبير عن حزنى لهذا الخبر .

بينيلوبى : ولا بد أن الأمر ضايقك كل المضايقة. بعد أن أعددت كل شيء للسفر إلى باريس .

السيدة فيرجسون : أوه ، أنا لم أفكر بالطبع فى راحتى قط .

بينيلوبى : يقول ديكى إن طريقة تمريضك لها لا يوفيها المديح حقها .

السيدة فيرجسون : أظن أن من واجبنا فى هذه الحياة أن يعاون بعضنا بعضاً على قدر إمكانه وأنا لم أقم إلا بواجبى .

بينيلوبى : قليل منا من يفعل ذلك .

السيدة فيرجسون : عند ما أذكر أن زوجى يخدم وطنه بشجاعة فى بلد غريب أشعر بأن من

واجبي القيام بكل ما أستطيع لمساعدة الآخرين .

[پينيلوپي تغمز لنفسها متأملة]

پينيلوپي : أكنت هناك عند ما انتهى الأمر ؟

السيدة فيرجسون : [دهشة] أى أمر ؟

پينيلوپي : أتعنين أنك لا تعرفين ما حدث ؟

السيدة فيرجسون : پينيلوپي ، ليست لدى أية فكرة عما تقصدين .

پينيلوپي : ولكن ديك قضى عند السيدة ماك هذا الصباح بطوله .

السيدة فيرجسون : هذا غير معقول .

پينيلوپي : يدهشني أنهم لم يستدعوك .

السيدة فيرجسون : ولكن . . .

[تتوقف عن الكلام غضباً ودهشة]

پينيلوپي : أنت إذن لا تعرفين حقاً ؟

السيدة فيرجسون : [بيأس] أنا لا أعرف شيئاً .

پينيلوپي : يا عزيزتي أدا المسكينة ، يربكني أن أضطر إلى أن أصدمك هــذه الصدمة المريرة كل المرارة . السيدة ماك — ماتت

السيدة فيرجسون : ماتت !

پينيلوپي : نعم ماتت بين ذراعي ديكي ، شاكرة له كل ما بذل في سبيلها .

السيدة فيرجسون : مستحيل !

پينيلوپى : لا يدهشنى أن تقولى ذلك ، فقد كانت تتوثب حيوية منذ يوم أو يومين . . . أجلسى يا عزيزتى . أنت مضطربة كل الاضطراب . . . لقد كنت شديدة التعلق بها ، أليس كذلك ؟

السيدة فيرجسون : ماتت !

پينيلوپى : لماذا لا تبكين شفاء لحزنك ؟ ألا تجدين منديلك ؟ خذى هذا المنديل . إنه لأمر محزن ، أليس كذلك ؟ . . . وبعد كل ما بذلت فى سبيلها ؟ . . .

[السيدة فيرجسون تربت عينيها بمنديلها]

السيدة فيرجسون : [ترغم نفسها على أن تبدو طبيعية] إنها لصدمة عنيفة .

پينيلوپى : آه ، أعلم ذلك ، وأشاطرك شعورك يا عزيزتى . كان ديكى مخلصاً لها . وقد قال إنه لم يعالج قط مريضة مثلها [تضع منديلها على عينيها] ماتت وعلى شفتيها ابتسامة ، وهى تذكر اسم زوجها المتوفى . وقد تأثر ديكى إلى حد أنه لم يستطع تناول غدائه . يا للفتى

المسكين ! ... وكنا سنشترى عربة جديدة .

[يدخل ديكى ، ويقف عند الباب لحظة إذ يبصر المرأتين تبكيان]

ديكى : ماذا جرى ؟

پينيلوپى : [بزفرة] نقلت الساعة النبأ لأدا المسكينة .

ديكى : أى نبأ ؟

پينيلوپى : لم تكن تعلم أن السيدة ماك — لم يعد لها وجود .

السيدة فيرجسون : [تحاول أن تخفى غيظها وحيرتها] لم أكن أعلم ذلك بالتأكيد !

پينيلوپى : كان عليك أن تخبرها بالأمر يا ديكى . فلا بد أنها كانت تود حضور الوفاة .

ديكى : أردت أن أوفر عليك هذا المشهد .

السيدة فيرجسون : هذا عطف كبير منك .

ديكى : كنت أعرف أن هذا قصده ، فلديكى قلب رؤوف .

السيدة فيرجسون : [بغيظ مكظوم] لاحظت ذلك من قبل .

پينيلوپى : [لزوجها] وكنت شديد التعلق بها ، أليس كذلك ؟

ديكى : كنت أعدها صديقاً حقيقياً .

پينيلوپي : قلت لأدا إنها لفظت روحها بين ذراعيك يا حبيبي .

ديكي : وعلى ثغره ابتسامة .

پينيلوپي : هذا ما قلته بالذات . ماتت وهي تغمغم باسم زوجها الذي توفى منذ أربعين عاما . ما اسمه الذي ذكرته لى يا ديكي ؟

ديكي : ووكر يا حبيبتي .

پينيلوپي : حدث أدا تفصيلا ، فهي تريد سماع التفاصيل .

ديكي : طلبت أن يبلغوك سلامها ، وقالت إنها تهدى مودتها لزوجك .

پينيلوپي : يبدو أنها فكرت فى كل شىء . لا بد من أن تحضر الجنازة يا ديكي .

ديكي : نعم ، فأنا أود أن أظهر هذا الدليل على احترامى لها .

پينيلوپي : [للسيدة فيرجسون] ألا تودين تناول كأس من الشيرى يا عزيزتى ؟ فأنا أراك شديدة الاضطراب .

السيدة فيرجسون : الـ ـــ خبر فاجأنى مفاجأة .

پينيلوپي : الحق أنى توقعته مساء أمس ، ولكنى أفهم إنفعالك حق الفهم .

السيدة فيرجسون : أنا مقدرة لمواساتك كل التقدير .

پينيلوپى : سأذهب لأحضر لك بعض الشيرى بنفسى

ديكى : أوه ، دعينى أحضره أنا .

پينيلوپى : لا ، ابق مع أدا يا حبيبى ، فان لك طريقة عجيبة فى مواساة المكروبين .

ديكى : [منسحباً] تحتاج المرأة فى مثل هذا الظرف لامرأة مثلها لتواسيها .

پينيلوپى : [تحول دون تحركه] لا ، فأنت تعرف أن تقول ما يجب أن يقال بالضبط ، ولن أنسى مواساتك اللطيفة لى عند ما أنذرتنا آخر طاهية بأنها ستترك خدمتنا .

[تخرج . وتهب السيدة فيرجسون واقفة على قدميها]

السيدة فيرجسون : والآن ؟

ديكى : عجباً ! جعلتنى أقفز بحق .

السيدة فيرجسون : ما معنى هذا كله ؟

ديكى : معناه أن السيدة ماك بشر فانية مثلنا جميعاً وستقام الجنازة بغد غد فى كنزال جرين . وليقبل أصدقاؤها هذا التبليغ بمثابة إعلان لأنه لن ينشر إعلان غيره .

السيدة فيرجسون : كيف يمكن أن تموت السيدة ماك ! إنك

تعلم مثلما أعلم أنا أن السيدة ماك لم يكن لها وجود فى يوم من الأيام .

ديكى : أقسم لك أن الشك فى هذا بدأ يساورنى ، فقد أكثرت من الحديث عنها إلى حد أنها تبدو أقرب كثيراً إلى الحقيقة من — من كشف حسابى فى البنك مثلا . وبوسعى أن أكتب عن حالها مقالا ممتعاً فى مجلة « لانسيت » .

السيدة فيرجسون : [محتدمة غيظاً] أوه !

ديكى : ولكن أذكرى أن العجوز المسكينة تعذبت كثيراً فى حياتها ! جراحة بعد جراحة ! حياتها كانت غير جديرة أن تحياها . ولم يكن بد من أن تموت . وأنا أعد موتها خلاصاً سعيداً مبهجاً .

السيدة فيرجسون : أين كنت الليلة الماضية ؟

ديكى : كنت عند السيدة ماك — لا ، لم أكن بالطبع عندها . لقد اعتدت أن أقول هذه العبارة إلى حد أنها أصبحت تفلت منى عفواً . . . أنا آسف كل الأسف .

السيدة فيرجسون : كيف يمكنك أن تقول لى مثل هذه الأكاذيب ؟

ديكى : لست أدرى . يبدو أن الأمر بسبيله لأن يصبح عادة .

السيدة فيرجسون : أوصيك أن تحتفظ بأكاذيبك لبينيلوبى .

ديكى : أحسب إذن أنك ترين أنها لا تهم ؟

السيدة فيرجسون : أوه . إنها زوجتك . فالمسألة تختلف .

ديكى : فهمت .

السيدة فيرجسون : ماذا تقصد بقولك : فهمت ؟

ديكى : كان هذا هو الجواب الوحيد الذى خطر ببالى فى هذه اللحظة .

السيدة فيرجسون : أنا واثقة من أنك تقصد به أمراً ما .

[تدخل بيتون بوعاء عليه كأسان من النبيذ وقنينة . يتوقفان عن الكلام متى تخرج]

ديكى : هل لك فى كأس من الشيرى ؟

السيدة فيرجسون : لا .

ديكى : حسناً . أظن أنى سأتناول كأساً إذا كنت لا تمانعين . [يملأ لنفسه كأساً] يبدو لى أن الشيرى بدأ يصبح مشروب العصر من جديد .

السيدة فيرجسون : أيبدو لك ذلك ؟

ديكى : أعتقد دائماً أو أوتيت القدرة على جعل نفسى مرحاً وقت الشدائد . [يشرب كأساً

من الشيرى ليتشجع] اسمعى ، أريد أن أقول
لك كلاماً أخشى ألا يسرك سماعه كثيراً،
ولعلك تظنيننى وحشاً فظيعاً ، ولكنى
مضطر إلى قوله [لا تحير السيدة فيرجسون
جواباً ، ويواصل حديثه بعد فترة صمت]
(الواقع أنى لم أخلق منافقاً دساساً
فهذه الأكاذيب جميعها تضايقنى جداً .
ولست أحب أن أعتقد أنى أسىء معاملة
بينيلوبى . [فترة صمت أخرى] ومن الخير
أن أفضى لك بالحقيقة كلها الآن .
ولقد تبينت أنى أحب بينيلوبى حباً طاغياً .

السيدة فيرجسون : [هادئة] وبعد ؟

ديكى : [فى شىء من الدهشة] لا شىء بعد .

السيدة فيرجسون : وكيف تتصور أن ذلك يهمنى ؟

ديكى : [شديد الارتباك] ظننت — إ . . . !

[تنفجر السيدة فيرجسون فى قهقهات متتالية .
يبهت ديكى ، وينظر إليها فى دهشة]

السيدة فيرجسون : إنك لم تتوهم أنى كنت أحبك فى يوم من الأيام ؟

ديكى : [محاولا تفسير الأمر] لا ، لا . . . .

فالرجل الذى يخال المرأة تهيم به حباً هو حمار مغرور طبعاً .

السيدة فيرجسون : إنك سلبتنى يوم رأيتك أول مرة ، ولكن هذه التسلية انتهى أمرها منذ أمد طويل .

ديكى : إنه تلطف منك أن تقولى هذا .

السيدة فيرجسون : كان يلائمنى أن أجد من يخدمنى وأنا امرأة كلى أنوثة . و . . . .

ديكى : ولا تعرفين التصرف بنفسك .

السيدة فيرجسون : إنك سببت لى طوال هذا الشهر سأماً قاتلا وقد بذلت كل ما أستطيع لأظهر لك ذلك ، ما عدا مصارحتك به .

ديكى : أخشى أننى كنت بليد الفهم جداً .

السيدة فيرجسون : بليد الفهم إلى حد مفزع .

ديكى : ولكنه كان لطيفاً منك أن ترعى شعورى

السيدة فيرجسون : [بابتسامة لطيفة] ألا ترى أنه من الوقاحة أن أصفك بنفس كلماتك ، وهى أنك حمار مغرور ؟

ديكى : قد يجعل هذا علاقتنا المستقبلة رسمية نوعاً .

السيدة فيرجسون : لن تكون بيننا علاقة مستقبلة .

ديكى : ليس هناك إذن قول بعد هذا يقال .

[تندفع السيدة فيرجسون صوب الباب . ثم تتوقف]

السيدة فيرجسون : أتحبك بينيلوبى ذلك الحب الأعمى الذى أحببتك به يوم رأيتك لأول مرة ؟

ديكى : إنى أظن بأنها تحبنى بقدر ما أحبها .

السيدة فيرجسون : ماذا صنعت بالرسائل التى كنت أكتبها إليك ؟

ديكى : صنعت بها ما اتفقنا عليه . أحرقتها فى الحال .

السيدة فيرجسون : ولكنى لم أفعل مثل ذلك بخطاباتك ، فقد احتفظت بها .

ديكى : لم يكن يخطر ببالى أنها تهمك إلى هذا الحد .

السيدة فيرجسون : يخيل إلى أن بينيلوبى ستجدها ممتعة جداً

ديكى : ولماذا لا ترسلينها إليها ؟

السيدة فيرجسون : أظن أنى سأفعل ذلك ، إذا لم يكن لديك اعتراض .

ديكى : لن تخبرها هذه الرسائل بجديد .

السيدة فيرجسون : [تعود من الباب فزعة] أنت لا تعنى أنك أخبرتها بالأمر ؟

ديكى : كلا بالطبع .

السيدة فيرجسون : ماذا إذن ؟

ديكي : كانت على بينة طوال الوقت .

السيدة فيرجسون : على بينة مم ؟

ديكي : من الأمر كله منذ أوله .

السيدة فيرجسون : [مرتعبة] وكيف اكتشفته ؟

ديكي : علم ذلك عند الله وحده .

السيدة فيرجسون : إنها مصيدة ! كان على أن أعرف أنها ليست بلهاء كما كانت تبدو . لقد أرادت طلاقك فاتخذت منى وسيلة لذلك . إن زوجى لن يسكت على هذا .

ديكي : أستطيع أن أدرك أنه حتى أشد الأزواج حباً لزوجته لا يسمح بتجاوز هذا الحد .

السيدة فيرجسون : أوه ، لا تحاول الآن أن تهزل .

ديكي : لا فجانب الهزل فى المسألة لم يحن بعد

السيدة فيرجسون : ماذا ؟

ديكي : حسناً ، لا داعى لأن تضطربى لهذا الأمر ، فان بينيلوبى لن تقدم على شىء .

السيدة فيرجسون : إذن فلماذا . . . ؟

ديكي : [بهزة من كتفيه] إنها لا تهتم فتيلا .

السيدة فيرجسون : لست أفهم .

ديكي : ألا تفهمين ؟ الأمر بسيط جداً فالمسألة فى نظرها لا أهمية لها . لقد سرها أنى

تسليت .. ولكن آه لو علمت مقدار التسلية
التى استمتعت بها ! إنها تنظر إلى الأمر
على أنه أشبه بـ . . . بتغيير الهواء .

السيدة فيرجسون : [حانقة] أوه ! أوه ! أوه ! . . أظنه
أشبه بتمضية أسبوعين فى لعبة الجولف
على شاطىء البحر .

ديكى : شىء أشبه بهذا .

السيدة فيرجسون : أفضل لو أنها طلقتك .

ديكى : شكراً . ولكنى لا أفضل هذا .

السيدة فيرجسون : أوه ، يا للمذلة ! ! لم أكن إلا مجرد أداة
بينما كان لديها ما هو أهم . إن هذا يجعل
المسألة كلها خسيسة ! . . . تصور أنى
كنت أصبو إلى مغامرة شاعرية ! . . .
إنى لم أكن لأتطلع إليك لولا اعتقادى
أنها هائمة بك .

ديكى : يخيل إلى أن العلاقات الغرامية التى من هذا
القبيل لا تبدو شاعرية إلا حين تقع
للآخرين ، أما إذا وقعت للمرء نفسه —
حسناً ، فكلمة « خسيسة » هى النعت
المناسب لها .

السيدة فيرجسون : [تتذكر فجأة] والسيدة ماك ؟

ديكي : عرفت بينيلوبي كل شيء عنها أيضاً .

السيدة فيرجسون : أتعني أننا اليوم عند ما . . . ؟

ديكي : عند ما امتزجت دموعكما ؟ أظن أن دموعها كانت هي ودموعك في الصدق سواء .

السيدة فيرجسون : ولقد استدرجتني للإدلاء بقول بعد قول .

ديكي : أظنها أفلحت في استغفالنا كلينا .

السيدة فيرجسون : وكيف بالله أستطيع لقاءها الآن ؟

ديكي : ستكون في حال طيبة . ستكون لطيفة كما كانت دائماً .

السيدة فيرجسون : أيها الأبله ! ألا ترى أنها إذا تظرّفت معي فذلك لاعتقادها أنها أجمل مني ، وأذكى مني ، وأشد فتنة وإغراء ؟ إنها تمتنع حتى عن احتقاري . . . إنها لا تبالي بي [تتجه إلى المرآة وتتطلع فيها . وتقول بعنف] تغيير هواء .

[يفتح الباب ببطء ، وتدخل بينيلوبي ، وقد ارتدت ملابس رحلة بالسيارة . تشهق السيدة فيرجسون فجأة حين تراها ، وتدور بوجهها عنها . تقف بينيلوبي في مكانها هنيهة وتنظر إليهما متأملة ، ويقوم ديكي دون هدف بترتيب أشياء موضوعة فوق المنضدة]

بينيلوبى : [بابتسامة باهتة] لعلى لم أزعجكما ؟

ديكى : ! . . . .

بينيلوبى : نعم ؟

ديكى : لا شيء .

[ترتمى السيدة فيرجسون فجأة على أحد المقاعد وهى تنتحب وتجهش بالبكاء مخفية وجهها بيديها ، تلقى عليها بينيلوبى نظرة اندهاش ، وتتجه إليها مسرعة ، وتنحنى عليها ويدها على كتفها]

بينيلوبى : [تكاد تحن عليها] ماذا ؟ أدموع حقيقية ؟

السيدة فيرجسون : [بصوت متهدج] أشعر بأنى هُزأة .

بينيلوبى : [بابتسامة خفيفة وكأنها تخاطب طفلا] لا ، تبكى .

السيدة فيرجسون : أنا أبدو بلهاء بحق .

بينيلوبى : من المضجر أن تبدو خطايانا الصغيرة لدى افتضاحها طائشة بدلا من أن تبدو شريرة .

السيدة فيرجسون : لن أحترم نفسى بعد ذلك أبداً .

بينيلوبى : جففى دموعك يا عزيزتى ، فقد جاء خالى دافينبورت الآن ، وهو يريد أن يعرف أمن اللائق أن يدعوك إلى تناول الغداء معه على انفراد .

السيدة فيرجسون : [بمسحة خفيفة من طريقتها القديمة] كم هو

خفيف الظل . أود أن أتبادل معه حديثاً قلبياً .

پينيلوپي : ستجدين مطعم كارلتون مكاناً مناسباً جداً لذلك .

السيدة فيرجسون : أعيناى محمرتان ؟

پينيلوپي : أبداً . سآتيك ببعض البودرة .

[تتناول علبة البودرة من فوق إحدى المناضد ، وترش السيدة فيرجسون بعضها على أنفها ، وهى تفكر]

السيدة فيرجسون : يعجبنى خالك . إنه فى حديثه عن الدوقات يذكرهن بأسمائهن دون أسماء أسرهن .

[تعلن بيتون قدوم بارلو وتخرج]

بيتون : مستر دافينبورت بارلو

[تسترد السيدة فيرجسون حالتها الطبيعية استرداداً تاماً لدى دخوله]

پينيلوپي : [وهى تقبل خالها] كيف حالك ؟

بارلو : [يتقدم بكياسة إلى السيدة فيرجسون] هــذه مفاجأة سارة كنت أحسبك فى باريس .

السيدة فيرجسون : لا ، فان حالة السيدة ماك ازدادت سوءاً على حين فجأة .

بارلو : هذا من حسن حظى .

السيدة فيرجسون : ظريف منك أن تقول هذا ، ولكنى سأغادر لندن توآ على أية حال .

بارلو : ولكن هذا قرار فجائى جداً . ماذا سنصنع هنا بدونك ؟

السيدة فيرجسون : عليك أن تلوم الدكتور أوفاريل .

ديكى : (مبهوتاً) أنا ؟

السيدة فيرجسون : قال لى إنى الآن فى صحة جيدة تحتمل مناخ بلد غريب . ولا يوجد شىء بالطبع يحملنى على البقاء ساعة واحدة بعيدة عن زوجى ، إلا إذا كنت مرغمة على ذلك .

بارلو : ولكنى ظننته يحارب بشجاعة فى سبيل وطنه .

السيدة فيرجسون : الواقع أنه لا توجد معارك يشتبك فيها الآن . وقد استأجر منزلا أنيقاً فى مالطه ، وسأبدأ رحلتى إليه غداً .

بارلو : إن هذا يحزننى حزناً لا أستطيع وصفه وهل سترحلين إلى مالطه رأساً ؟

السيدة فيرجسون : لا ، سأتوقف فى طريقى بباريس ، يوما أو يومين .

بارلو : ما أغرب هذا ! فقد أعددت نفسى أنا أيضاً للسفر إلى باريس غداً .

السيدة فيرجسون : أفلا يضايقك إذن أن تعنى بأمرى أثناء السفر ؟ فأنت تعلم إننى امرأة ، كلها أنوثة ، وأشعر بالعجز التام حين أكون فى القطار وحدى .

بارلو : إنى أعد ذلك تميزاً خاصاً لى ، ولعلنا نحضر مسرحية أو مسرحيتين أثناء إقامتنا هناك .

السيدة فيرجسون : هذا إذا وعدت ألا تذهب بى إلى أية مسرحية مريبة .

بارلو : ها ، ها ، ها .

السيدة فيرجسون : [لپينيلوپى] والآن يا عزيزتى ، لا بد من أن أودعك ، وأنا أخشى ألا نلتقى ثانية إلا بعد فترة من الوقت .

پينيلوپى : وداعاً .

[تقبل كل منهما الأخرى بشغف]

السيدة فيرجسون : [لديكى] وداعاً . وإذا سمعت عن عملية رابحة فى بورصة الأوراق المالية فأرجو أن تلفتنى إلى ذلك ، وأظن أنى سأسترد

ما خسرته بشراء أوراق جوهانسبورج
وأورشليم الجديدة .

پينياوپى : سأفعل ذلك .

السيدة فيرجسون : [لبارلو] بالباب عربة تنتظرنى ، فهل أذهب بك إلى المكان الذى تريد ؟

بارلو : ذلك يكون تفضلا منك .
[تخرج مومئة برأسها لديكى]

بارلو : [وهو يصافح پينيلوپى] إنها مخلوقة ظريفة كم هى رائعة مهذبة كل التهذيب .

پينيلوپى : والآن ، إحذر يا خالى دافينبورت ، إياك واللعب .

بارلو : يا عزيزتى ، ما أنا روح الشرف فحسب ، ولكنى جاوزت الثانية والخمسين أيضا .
[يخرج]

پينيلوپى : [وهو بسبيل الخروج] أظن أن هذا يحمل المرء فعلا على التفكير الإفلاطونى .

ديكى : [يتنفس الصعداء] أوف . [تدور پينيلوپى إلى المرآة لتصلح وضع قبعتها . ويلاحظها ديكى مبتسما] وبعد ؟

پينيلوپى : [تتظاهر بالدهشة] أستميحك عذراً ؟

ديكى : إنك وعدتنى أن تقبلينى .

پينيلوپي : لا . أنا وعدت أن أدعك تقبلني .

ديكي : [يحتضنها ويقبلها] أيتها الوحش الصغير .

پينيلوپي : هل انتهيت ؟

ديكي : لم أنته تماماً .

پينيلوپي : أخشى إذن أن تضطر إلى إرجاء ذلك لوقت آخر ، فبالباب سيارة أجرة يكلفني انتظارها بنسين كل دقيقة .

ديكي : [متراجعاً] وما حاجتك إلى سيارة ؟

پينيلوپي : [بابتسامة] قدرت أن ذلك سيطفيء حماستك .

ديكي : لا تقولي إنك ستقومين الآن برحلة السيارة السخيفة ؟

پينيلوپي : وأي شيء يحول دون ذلك ؟

ديكي : [بين مجروح الشعور ومأخوذ] پين !

پينيلوپي : [تنظر في ساعة معصمها] يا إلهي . لقد تركتهم ينتظرون .

ديكي : [يتناول كلتا يديها] والآن لاتغيظيني إذهبي واخلعي عنك ملابس الرحلة الكريهة هذه ، ولننعم معاً بتناول الشاي . ونبهي پيتون لتقول إنك غير موجودة .

پينيلوپي : يؤسفني أشد الأسف أن أخيب رجاءك ،

ولكنى أخشى ألا أستطيع الإخلال بموعد ارتبطت به .

ديكى : لا أحسبك جادة .

پينيلوپى : جادة فوق المألوف .

ديكى : ولكن كل شىء اختلف الآن يا بين العزيزة . ألا تعلمين أنى أحبك ؟

پينيلوپى : ظريف منك أن تقول ذلك .

ديكى : أليس لقولى هذا أى معنى عندك ؟

پينيلوپى : ليس له معنى كبير .

ديكى : [بدأ يرتبك نوعاً ما] ولكن ، ثوبى إلى رشدك ياعزيزتى بين ، إنى أحبك بمقدار حبك لى .

پينيلوپى : [بابتسامة صغيرة] لكن ماذا يحملك على الظن بأنى أحبك ؟

ديكى : [مبلبل الفكر] أنت — أنت لا تقصدين أن تقولى إنك لم تعودى تحبيننى !

پينيلوپى : [فى حياء وهدوء] أنا — لم أعد أشعر بأن العالم سينتهى عند ما تخرج من الغرفة .

ديكى : ماذا ! لم لا تقولين صراحة إنك لا تطيقين رؤيتى ؟

پينيلوپى : لأن ذلك لا يطابق الحقيقة كل المطابقة ، فأنا أميل إليك جداً .

ديكي : تميلين إلى ! أنا لا أريد أن تميلي إلى ، بل أن تحبيني .

پينيلوپي : ليت ذلك بيدى ، فإنه ينقذنا من متاعب كثيرة .

ديكي : أنا لا أفهم شيئاً ، فذلك أعجب ما سمعت في حياتي . . . كنت أظن دائماً أنك تهيمين بي حباً .

پينيلوپي : لماذا ؟

ديكي : لأني أهيم بك حباً .

پينيلوپي : منذ متى ؟

ديكي : دائماً ، دائماً ، دائماً .

پينيلوپي : تصور ذلك .

ديكي : أوه ، لست أجهل أني تصرفت تصرفاً أخرق ، وسأظل أندم على ذلك ما حييت . أتخالين أني كنت سعيداً ؟ أتظنين أني استمتعت بوقت مبهج ؟ لا ، لم أستمتع كثيراً . . . أحسب أن هذا هو ما حصل . ألا يمكنك أن تغفرى لى ؟

پينيلوپي : هراء . أنا أغفر لك بالطبع ، فليس للأمر أية أهمية .

ديكي : [بشارة قنوط] المسألة كلها لغز في

نظرى . لقد أحببتك دائماً يا بين ، ولم أكف عن حبك لحظة واحدة .

بينيلوبى : أنت فى غير حاجة يا عزيزى إلى كل هذا الدفاع ، فإن الأمر لا يهمنى على الحالتين .

ديكى : ما كان أغبانى ! كان على أن أدرك أن تقبلك الأمر بهذا الهدوء لا يكون قط إلا بسبب عدم حبك لى . وإذا لم تثر المرأة فلا يعنى هذا إلا أنها لا تحب زوجها . . ألم تحبينى فيما مضى ؟

بينيلوبى : نعم .

ديكى : كيف يمكنك أن تكونى متقلبة على هذا النحو ؟ . لم يخطر ببالى قط أن تعامليني هذه المعاملة [تنظر بينيلوبى حولها كأنما أضاعت شيئاً] عمم تبحثين ؟

بينيلوبى : خيل إلى أنك فقدت روح الفكاهة ، وكنت أنظر هل أستطع العثور لك عليها .

ديكى : كيف أستطيع الاحتفاظ بروح الفكاهة وأنا أتألم ؟

بينيلوبى : [تجفل لكلمته] تتألم ؟

ديكى : آلام المقضى عليه بالهلاك، إنى أريدك ، إنى أريد حبك .

[لا يرى وجه بنيلوبى ، وقد ارتسم عليه تعبير عن تأنيب الضمير للألم الذى سببته له . وتوشك أن تتحرك نحوه ، ولكنها تتمالك نفسها بسرعة]

پينيلوپى : [بابتسامة ساخرة] يا حبيبى المسكين .

ديكى : [غاضباً] لا تهزئى بى .

پينيلوپى : لم أكن أهزأ بك ، ولكنى كنت أشفق عليك .

ديكى : أتحسبين أنى فى حاجة إلى إشفاقك ؟

پينيلوپى : أنا سيئة الحظ جداً إذ يبدو أنى عاجزة تماماً عن إرضائك ، وأظن أنه من الخير أن أرحل لمدة أسبوع .

ديكى : [يهب واقفاً] لا . إنك لن ترحلى .

پينيلوپى : [رافعة حاجبيها] أى شىء يحملك على أن تظن ذلك ؟

ديكى : لأنى أمنعك من الرحيل .

پينيلوپى : [مبتسمة] أتتوهم أنى سأخر على وجهى إطاعة لأمرك ؟

ديكى : أنا السيد فى هذا المنزل ، وأنا مصمم على أن تحترم كلمتى .

پينيلوپى : ما دمت تدفع يا عزيزى الإيجار والضرائب فمن الحق أن تسوس هذا المنزل بقضيب من حديد إن شئت . أما أنا شخصياً فلا أريد فى هذه اللحظة إلا أن أخرج منه .

ديكى : أنت لن تخرجى منه .

پينيلوپى : أتنوى أن تبقينى هنا برغم إرادتى ؟

ديكى : يقيناً ، إذا اقتضى الأمر ذلك .

پينيلوپى : هيم م م . . .

[تقف وتتجه إلى الباب ، فيعترض طريقها ، ويغلق الباب بمفتاح يضعه فى جيبه]

پينيلوپى : قوة غاشمة .

ديكى : أظن الوقت قد حان لأريك أنى لن أسمح لأحد باستغفالى .

[تهز پينيلوپى كتفيها وتجلس . ثم تقهقه على حين فجأة)

ديكى : لا أرى موجباً للضحك .

پينيلوپى : ولكنى أرى موجباً له ، فما أشبه هذا بتصرف الأزواج فى القرون الوسطى . . وهل ستجعل غذائى الخبز القفار والماء ؟

ديكى : [بغضب] أغ . [ينظر إليها] أرجوك يا بين أن تتعقلى الأمر ، لماذا بربك

تريدين القيام بهذه الرحلة السخيفة ؟

بينيلوبى : أنا أرفض مناقشة المسألة قبل أن تفتح الباب .

ديكى : إن هذا الوقت من العام ليس وقت رحلات السيارات [فترة صمت . تشخص بينيلوبى ببصرها أمامها دون أن تعير قوله التفاتاً) ستمطر السماء وابلا مدراراً ، وستصابين ببرد شديد ، بل لعلك تصابين بالتهاب رئوى (فترة صمت) أحس بانحطاط فى القوى ، ولا يبعد أن أكون على وشك الإصابة بمرض أنا نفسى [تكتم بينيلوبى ضحكة ، وتظل تشخص فى الفضاء. ديكى ينفجر منفعلا] ولكن ألا ترين أن منعى إياك من الخروج لا يرجع إلا إلى عجزى عن احتمال غيابك عنى ؟ إنى أريدك . . أريدك إلى جانبى فى كل لحظة ، أريدك أن تحبينى . . . آه لو كنت تعلمين كم أحبك ، إذن لما قسا على قلبك هذه القسوة .

بينيلوبى : [تلتفت إليه ، وتتحدث فى هدوء تام] ولكنك لو كنت تحبنى حقاً لما حاولت أن تحرمنى هذه المتعة الصغيرة ، ولرغبت

فى التضحية بنفسك أحياناً ، ولأوليت رغباتى نوعاً من الرعاية ، ولما عملت على إقامة العقبات السخيفة حين يتيح لى الحظ أن أستمتع ببعض التسلية .

[يظل ديكى ينظر إليها لحظة ، ثم يدور عنها ويذرع المكان ذهاباً وإياباً وهو مطأطىء الرأس . ويخرج المفتاح من جيبه ، ويضعه صامتاً إلى جانبها فوق المنضدة]

پينيلوپى : ما معنى هذا ؟

ديكى : [فى صوت كسير] أنت على حق ، فما كنت إلا أنانياً جداً ، ولم أفكر إلا فى نفسى . ولعلى سببت لك السأم ، وقد تزدادين ميلا إلى إذا بعدت عنى بضعة أيام .

[تتأثر پينيلوپى إلى حد أنها تكاد تعجز عن مواصلة الدور الذى تمثله . ولكنها تجالد نفسها ، وتستطيع بعد برهة أن تتغلب على رغبتها فى الارتماء بين أحضانه]

پينيلوپى : لعلك تتكرم وتفتح الباب ما دمت قد أغلقته .

[يأخذ المفتاح فى صمت ، ويتجه إلى الباب ويفتحه]

پينيلوپى : هل أفهم من هذا أنك لا تعترض على قيامى بالرحلة ؟

ديكى : إذا كانت الرحلة تسعدك فيسرنى أن
أراك سعيدة . أنا لا أريد إلا سعادتك .

پينيلوپى : ألست تؤثر بقائى ؟

ديكى : لا .

[تجفل بينيلوبى قليلا ، فليس هذا هو ما
تريده منه]

پينيلوپى : أوه !

ديكى : لست أدرى ماذا أصنع فى غيابك ! .
أحس كأنى بدأت أعرفك الآن فقط . .
وكأنه — أوه ، لا أعرف كيف أعبر
عن قصدى .

پينيلوپى : ولكنك قلت الآن إنك تؤثر رحيلى .

ديكى : أنا لا أريد أن أفكر فى نفسى بعد الآن ،
وإنما أريد أن أفكر فيك أنت دون سواك
وكم يسعدنى أن أفكر فيك يا بين . . .
أريد أن أضحى بنفسى .

پينيلوپى : [تشعر بالفرج] هلا ذهبت إلى غرفتى
ونظرت ما إذا كانت الخادم قد أنزلت
حقيبتى إلى أسفل الدار ؟

[يخرج ويغيب لحظة . وتظل هى بالحجرة وعلى
وجهها نظرة الفرح . يعود ثانية]

ديكى : نعم ، نزلت بيتون بها .

پينيلوپى : إذن — [ترشفه بنظرة من تحت أهدابها]
دق لها الجرس ، وقل لها أن تعود بها ثانية .

ديكى : [يكاد لا يصدق حسن حظه] پين !

پينيلوپى : أأنت مسرور ؟

ديكى : أوه ، أنت طيبة جداً معى ، ولست أستطيع أن أعبر عن مقدار عرفانى بالجميل . آه لو تعلمين يا بين كم أعبدك !
[يخر راكعاً على قدميه ، ويقبل يديها بشغف ، وهى لا تكاد تستطيع منع نفسها من رفعه وتطويق عنقه بذراعيها]

ديكى : أهناك بارقة أمل لى ؟ أتظنين أن حبك لى سيعاودك كما كان ؟

پينيلوپى : وكيف أدرى ذلك ؟

ديكى : أوه ، لماذا لا نستطيع أن نعود كما كنا فى البداية ؟ أتذكرين كم كان يحب كل منا صاحبه يومذاك ؟ كان من عادتك أن تنزلى معى لتوديعى عند انصرافى كل يوم ، وأن تنزلى بسرعة عند عودتى لتقبيلى . ثم أتذكرين كيف كنت تجلسين على ذراع مقعدى صباحاً وأنا

أدخن غليوني ، وتشتركين معي في قراءة الصحف ؟

پينيلوپي : [تخفي ابتسامة] كم كنت تكره ذلك قطعاً !

ديكي : أكرهه ؟ أنا لم أشعر بمثل تلك السعادة طوال حياتي .

پينيلوپي : آمل على أية حال أن نظل دائماً صديقين حميمين .

ديكي : [يهب واقفاً] صديقين ! ما فائدة أن تجودي على بصداقتك بينما أنا أكاد أموت لهفة على حبك ؟ كيف يطاوعك قلبك على أن تشقيني إلى هذا الحد ؟

پينيلوپي : [تبتسم في سماحة) ولكني لن أشقيك ، وإنما آمل أن أظل لطيفة معك دائماً .

ديكي : وماذا يهمني هذا ؟ هل تعديني يا بين أن تحاولي أن تحبيني ؟

پينيلوپي : [بابتسامة] نعم ، سأحاول ذلك إن شئت .

ديكي : سأحملك على أن تحبيني ، ولن أهدأ حتى أستوثق من حبك لي .

پينيلوپي : وعند ما تستوثق من ذلك ، أحسبك لن تعيرني أقل اهتمام ؟

ديكى : جربينى ! جربينى ! [يقبل يديها ثانية . ولا يرى وجهها بينما تبتسم وتهز رأسها] أنا لم أدرك من قبل أننى مغرم بك إلى هذا الحد ، إن مجرد تقبيل يديك يفعمنى نشوة .

[تطلق پينيلوپى ضحكة صغيرة وتتملص منه]

پينيلوپى : لا بد لى الآن من الذهاب إلى أسرة هندرسون لأخبرهم بأننى لن أستطيع الذهاب معهم فى الرحلة بالسيارة .

ديكى : ألا تستطيعين مخاطبتهم تليفونياً ؟ فأنا لا أريد أن أدعك تغيبين عن بصرى .

پينيلوپى : ليس لديهم تليفون ، وأسهل على أن أذهب بنفسى .

ديكى : حسناً جداً . وما دام لا بد لك من ذلك فاذهبى [تبتسم وتتجه صوب الباب ، وعند ما تصل إليه يستوقفها] أوه ، يا بين !

پينيلوپى : نعم .

ديكى : متى ستعودين ؟

[عند ما تتبين مغزى عبارته تومىء إيماءة ضاحكة ، وترسل له قبلة سريعة بيدها ، وتنسل من الباب]

النهايـــة

المسرحية القادمة

Les Corbeaux

تأليف : هنري بيك

Henri Becque

ترجمة

الدكتور محمد محمد القصاص

مراجعة : الدكتور محمود محمد قاسم * تقديم : الأستاذ عبد الرحمن صدقي

روائع المسرح العالمي

سلسلة مسرحيات عالمية
تصدر يوم ٤ من كل شهر

صدر منها :

١ - **الشقيقات الثلاث** — تأليف : أنطون تشيكوف — ترجمة : الدكتور علي الراعي

٢ - **أعمدة المجتمع** — تأليف : هنريك إبسن — ترجمة : عزيز سليمان

٣ - **سيرانو دي برجراك** — تأليف : أدمون روستان — ترجمة : عباس حافظ

٤ - **مروحة ليدي وندرمير** — تأليف : أوسكار وايلد — ترجمة : عباس يونس

تصدرها وزارة الثقافة والإرشاد القومي
الإدارة العامة للثقافة

الناشر : الشركة التعاونية للطباعة والنشر
١٤ شارع عماد الدين ت ٤١٣٠٣ - القاهرة

مطبعة كوستاتسوماس وشركاه

٥ شارع رشدي [illegible] بالظاهر بالقاهرة ٤٦١١٨

الفرع ١٣ شارع [illegible] تليفون ٩٢٦٣٩

روائع
المسرح العالمى

سلسلة مسرحيات عالمية

بأقلام الصفوة الممتازة
من المترجمين والمراجعين
مع دراسة عميقة
لاتجاه كل كاتب

ملتزم النشر والتوزيع **الشركة التعاونية للطباعة والنشر** ١٤ ش

يطلب من :

مكتبة المثنى - بغداد
الشركة العربية - بيروت
مكتبة الخانجى - القاهرة

الثمن ١٠ قروش

مطبعة كوستاتسوماس وشركاه
٥ شارع وقف الخربوطلي - الظاهر تليفون ٩٤٦٢٨